الاحْتِيَـــاطُ الصَّرْفِيُّ لِلْمَعْنَى فِـــى شِعْـــرِ الْمُتَنَبِّى.

قَالَبُ الْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ أُنْمُوذَجًا

إعداد

حمدي على بدوي أحمد

مدرس علم اللغـــة بقسم اللغة العربية

كليـــة الألســـن - جامعـــة الأقصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، والمبعوث رحمةً للعاملين، وعلى آله، وصحبه الكرام البررة، اللهم يسرْ وأعنْ. وبعـــــدُ .....

فإن هذا بحثٌ فى الاحتياط الصرفى للمعنى فى شعر المتنبى، يتخذ من قالب المصدر الصريح نموذجًا تطبيقيًّا ، يشكل – بذلك- آلية صرفية من آليات احتياط المؤلف لمعناه، ويُمكن عرض مفرداته على النحو الآتى :

الملخص:

يُحـاول البـاحـث أن يقـدِّم معـالجـة يكتنـه بهـا؛ أبعـاد الاحتيـاط للمعنى/المحتوى المضـمَّن فى التراكيب والجمل، التى كان لقالب المصـدر الصـريح فيها الدور الحاسـم فى الاحتياط للمعنى، فى منجز كلامى لشـاعر تفرَّد فى كل شـىء؛ نفسًـا، وشـعرًا، وحياة، حتى موتًا، وهو المتنى(ت354هـــ/956م) أبرز شـعراء الدولة العباسـية المجيدين، فى عصـرها الثانى، و أيقُونة اللغة الشاعرة العليا.

أظهر البحث استخدام أبى الطيب للقوالب المصدرية القياسية؛ بنوعيها، الثلاثية، وغير الثلاثية، والسماعية غير المسـتعملة (المهجورة)، بصـورة مقصـودة ومكثَّفة؛ ليظهر قوته الـذاتيـة، بـاســتخـدام قوالـب لغويـة ذاتيـة ومفردة وقويـة، تعبِّر عن إفراطه فى الاعتداد بذاته، وقوته المجتمعية، ليحتاط لمعناه؛ من خلال قوالبه اللغوية وتراكيبه الشعرية؛ التى جسَّد بها و اقعه النفسى والمجتمعى، فكان مرآة مقعَّرة لمجتمعه.

الكلمات الافتتاحية: بنيـــة القوالب اللغوية ، المؤلف ـ المتلقي ، حديث النفس – القصد ، الاحتياط ، التفاعل = لذة التلقي.

المصـــطلحـات الأدبيـة: الانتخـاب ، القوالـب العرفيـة ، طـاقـة التلقي ، الاســتلزام التخاطبي . التداولية الحوارية.

Summary:

In this research, the researcher is trying to provide a treatment that he can understand; The reserve dimensions of the implicit meaning and some of its mechanisms, representing them by citing verbal evidence of the type of poetic sayings, defining a qualitative morphological template, represented by the structure of

the explicit infinitive, in the verbal achievement of a poet who was unique - among his peers and the structures of his era - in everything; Soul, poetry, and life. He is considered one of the most prominent and glorious poets of the Abbasid state, in its second era, at the end of the seventh century AH. He is Abu al-Tayyib al-Mutani, the icon of the supreme poetic language, in order to shed light on the issue of propositional content, embedded in structures and sentences, which had a template. The source in which the decisive role is Abu al-Tayyib al-Mutanabbi's precaution for his meanings.

- The template of the explicit infinitive - in Al-Mutanabbi's poetic discourse - formed a direct and deliberative verbal action, and a linguistic mechanism by which the author established a psychological and semantic bond, and achieved a direct influence between him and his recipient. - The structure of the explicit infinitive helped to reserve the central meaning of the speech. It enabled the recipient's mind to reach the central intention of the author of the speech, or at least helped him to give preference to a specific meaning, as a matter of approach and expectation. Abu Al-Tayeb excelled in selecting the templates of the explicit infinitive, and in condensing them from the rest of the templates of speech acts, because of his awareness of the ability of these templates in terms of phonetic, syllabic, and pragmatic values to be described by their power in reserve of meaning. - The context of intent had a decisive role in revealing the implicit meaning behind the template of the explicit source, and in this position this template was transformed into a communicative tool, carrying an expressive function, which it is correct to describe as achieving the pleasure of the evasive; The recipient combines semantic strength, functional suitability, and specificity of orientation.

محتوى البحـث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتى فى مقدمة تشكل الإطار العام للبحث، يتلو المقدمةَ فصلان، الفصل الأول، يشكل الجانب النظرى للبحث، فى حين يشكِّل الفصل الثانى الجانب التطبيقى للبحث، ثم تأتى الخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع. ويُمكن معالجة هذا الأمر على النحو الآتى:

المقدمة: وتمثّل الإطار العام للبحث، وتتضمن حديثًا موجزًا عن النقاط التالية:

– التعرُّض لموضوع البحث ، والإحساس بمشكلته ، ودو افع اختياره ، وأهدافه.

– إبراز الأهمية النظرية والتطبيقية للبحث.

– الحديث عن حدوده ومادته، و افتراضاته وصعوباته، وتساؤلاته ، والمنهج المتبع فى معالجة مفرداته.

– عرض بعض الدراسات السابقة ذات الصلة ، وعقد موازنة تقريبية بينها وبين البحث الحالى.

الفصل الأول : ويشمل : الجانب النظرى للبحث ، ويتضمن النقاط التالية :

–مقدمـة ، وفيها حديث مختصر عن النقاط التالية :

–ماهية اللغة التواصلية :

–إدراك القدماء لألية الاحتياط للمعنى .

–التمهيد : وفيه حديث عن :

●العلاقة المتداخلة بين علم الصرف وعلم الدلالة من جهة ، وبين قالب المصدر الصريح والاحتياط للمعنى من جهة أخرى.

●التعريف بأبى الطيب المتنبى.

الفصل الثانى: ويتضمن الجانب التطبيقى للبحث، ويشمل محورين، هما:

المحور الأول: الاحتياط الصرفى للمعنى بقالب المصادر الثلاثية فى شعر المتنبى، ويختصُّ بدرس الصيغ المصدرية الثلاثية التى أوردها فى منجزه الشعرى احتياطًا لمعناه، ويشتمل على النقاط التالية:

●مدخل تمهيدى:

●من أمثلة الصيغ المصدرية الثلاثية:

أولًا- ما جاء على زنة (فَعَالَة)، بفتح الفاء والعين.

ثانيًا- ما جاء على زنة (فِعَالَة) بكسر الفاء، وفتح العين.

ثالثًا- ما جاء على زنة (فُعَال) بضم الفاء، وفتح العين.

رابعًا- ما جاء على زنة (فِعَال) يكسر الفاء، وفتح العين.

خامسًا- ما جاء على زنة (تَفْعَال) بفتح التاء، وسكون الفاء، وفتح العين.

سادسًا- ما جاء على زنة(فِعْلَان). بكسر الفاء ، وسكون العين.

سابعًا- ما جاء على زنة (مُفْعِل) بضم الميم، وسكون الفاء وكسر العين، ومما جاء على زنة (مَفْعِل) بفتح الميم ، وسكون الفاء وكسر العين.

<u>المحور الثاني : الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية في شعر المتنبي، يتضمن معالجة النقاط التالية:</u>

- مدخل تمهيدى :

أولًا - مما جاء على زنة (افْتِعَال) ، بكسر ألف الوصل ، وسكون العين.

ثانيًا- ما جاء على زنة (تَفَعُّل)، بفتح التاء، وفتح الفاء، مع تشديد العين وضمها.

ثالثًا- ما جاء على زنة (تَفَعِيل)، بفتح التاء، وسكون الفاء، وكسر العين الممدودة.

رابعًا- ما جاء على زنة (اسْتِفْعَال).

خامسًا – ما جاء على زنة (تفاعُل)، من تَفَاعَل، التى مصدرها تَفَاعُل ، بضم العين.

سادسًا – ما جاء على زنة (انفعال) من الفعل الخماسى: انفعل.

سابعًا - ما جاء على زنة: (إفعال).

ثامنًا - ما جاء على زنة: (افعلال) بكسر الهمزة، وسكون العين.

تاسعًا- ما جاء على زنة (مفاعلة)، بضم الميم، فتح الفاء الممدودة، وفتح العين واللام.

<u>**الخاتمة ، وتشتمل على ما يلى :**</u>

– أهم النتائج .

– أهم التوصيات.

<u>ثم : ثبت المصادر والمراجع.</u>

<u>(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).</u>

<u>موضوع البحث :</u>

يُعالج هذا البحث عدول مؤلف الكلام إلى قالب المصدر الصريح في الاحتياط

الصرفى لمعناه المركزي؛ رغبة منه في تحقيق بنية حجاجيـة جيدة ومعبِّرة، تقوم علي جمالية الالتفات وحُسن التفاوض الدلالى، والإقناع، ومراعاة أفق الانتظار لطاقة التلقي، وذلك في التراكيب الشعرية للمتنبى، ذلك الشاعر الذي جعل من قوالبه الصرفية صورًا معبرًا عن أفكاره وخلجات نفسه، كأنه واءم بين صوت نفسه وسياقها المادى والرمزى.

وهنا يكون حريًّا بالباحث أن يُشير إلى أن مفردات هذا البحث لن تتعرض لدرس التأطير النظرى لقالب المصدر الصريح، ولا أوزانه الصرفية أو قواعد صياغة البنية المصدرية، ولن تعكُف على درس سبب وروده على صورة شكلية معينة، من دون صيغة أخرى؛ وفقًا لضوابط المعيارية أو الاستعمال، أو التدريب؛ ولا يبحث خضوعه لتصرف الإعلال أو الإبدال، بالإضافة إلى أنه لا يدرس محددات التقليب الأصولية، فإن هذا الأمر بعيد عن مرمى البحث الحالى؛ إنما يتعرض لدرس ما يملكه قالب المصدر من قيمة دلالية، موصوفة بالقوة والتدفق، والتركيز؛ مما جعل مؤلف الكلام يروغ إليها، ليحتاط لمعنى نوعى، من دون سواه مراعيًا طاقة التلقى.

مشكلة البحث الحالى :

تجلَّت مشكلة البحث الحالى فى الافتراض بحتمية الكشف عن أبعاد الطرح التداولى والتأصيل لها فى مفردات ثقافتنا العربية، حين يُستدعى للموازنة، من خلال بحوث تنظيرية، وأخرى تطبيقية، مع قناعة الباحث بأن العرب قد أدركوا أن من واجبات مؤلف الكلام أن يوفِّر لمتلقيه بيئة تواصلية إقناعية، بحيث لا يترك له مجالًا للحيرة والتردد، فى تحيد المعنى المقصود من الألفاظ؛ بل أتاح له ما يرفع اللبس وسوء الفهم، وينتفى معه الخلط.[1]

التساؤلات البحثية:

ما يهمُّ البحث - هاهنا- هو تعرُّف الأسباب الضمنية التى وقفت وراء انتخاب أبى الطيب للقوالب المصدرية فى احتياطه للمعنى؟.

انطلاقًا من أن هذا الأمريشكل تساؤلًا رئيسيًّا، يعضِّده تساؤلات عدة غير مباشرة؟. أقربها إلى الذهن يستفسر عن مدى نجاح المتنبى فى تحقيق ما أَلْزم به نفسه، من عِلِّيَّةِ

---

(1) انظر: ضُروب الاحتياط فى اللغة العربية (دراسة نحوية)، د : آمال أحمد السيد عامر، حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا ، جامعة الأزهر، العد (22)، الجزء السابع، للعام : 1439هــ/2018م : 6086 - 6085

تكثيفه لقالب المصدر الصريح ؟. مما يستدعى تقديم إجابات تطبيقية، تحاول إقناع المتلقى، على تباين نمطه، واختلاف سياقات التلقى، ولو بوجه من الوجوه الدلالية المحتملة فى شعر المتنبى؛ لاسيما حين تقوم صياغته للقوالب اللفظية - قوالب وتراكيب - على المزاوجة بين السطحية، والإيغال فى الخيالات الرمزية.([1])

بحيث لا يجد القارئ سبيلًا إلى اقتناص ما يُريد من دون كدٍّ؛ ولعل هذا من براعة المتنبى وتفرُّده، فقد يبدأ بسيطًا سطحيًّا فى دلالته، ثم تنزلق قدمُ المتلقى إلى سراديب الغموض المحض والتيه، حين يغدو الغموض والإيغال غاية، لا وسيلة فنية، تُعين المتلقى فى استدعاء العديد من الصور الدلالية الجزئية الكاشفة عن القصد والمعنى.

أسباب اختيار الموضوع:

يظلُّ أبو الطيب المتنبى أيقونة لغوية متفردة متجددة، تستعصى على التقادم، رغم كثرة ما فيه من دراسات، وتعدُّد ما أُجرى فيه من بحوث، مع تنوع مشاربها ومناهجها، حتى إن الباحث ليجد غضاضة فى التعريف به؛ فقد ملأت ترجماته الأرض شرقًا وغربًا؛ لذا فلن يُفرد الباحث حديثًا مستقلًّا لتقديم ترجمة له، إذ يعد ذلك نسقًا من أنساق الفضول والتزيُّد.

بيد أن الباحث يدَّعى أن موضوعًا يدرس احتياط المتنبى لمعناه من خلال قوالب لغوية من جنس المصادر لم يُتناول بشىء من الدرس والتفصيل، وإن وُجدت دراسات سابقة أشارت إلى هذا التصرف بصورة مجملة، وقد شكَّل هذا الأمر منحة ومحنة؛ إذ إن كثرة الدراسات حول هذا الشاعر جعلت من مفرداتها معينًا للبحوث الأخرى ، فى حين جعلت من الإتيان بما يصلح للبحوث المتميزة أمرًا عسرًا، يعوزه التنقيب والتجويد.

أهداف البحث : يسعي هذا البحث إلي ما يلى :

التأكيد علي أن اللغة العربية – بقوالبها المتعددة- لغة تستوعب أفق الانتظار الآخر، وتراعى طاقته، بالمفهوم المتَّسع لكلمتىْ الآخر، وطاقة التلقى، وأن لديها العديد من القوالب، والجذور، والآليات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتركيبية، والتداولية، والسياقية، التى تمنح مؤلف النص العديد من سُبُل التواصل – بنجاح- مع طاقة التلقي للآخر علي اختلاف أنماطها وخلفياتها ومرجعياتها الثقافية.

([1]) انظر: العمدة فى محاسن الشعر لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط1 ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م ، ج2 : 48

دراسة آلية الاحتياط الصرفى للمعني في اللغة الشاعرة، من خلال قالب المصدر الصريح، بوصفه وحدة لغوية مستقلة مقطعيًّا؛ بالإضافة إلى كونها حمَّالة للدلالات المتواترة، ومعبرة عن المعنى المقصود بقوة وتدفق دلالي؛ ويكون الجانب التطبيقى والتمثيل لها من شعر للمتنبى.

الكشف عن الأسباب المضمنة وراء عدول أبى الطيِّب المتنبِّي إلى قالب المصدر الصريح؛ بغية الاحتياط لمعناه وتمكينه وتثبيته فى ذهن المتلقى؛ من خلال تحليل بعض الشواهد فى منجزه الشعرى.

أهمية البحث الحالى : تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1-تسليط الضوء على آلية من آليات اللغة العربية فى الاحتياط الشديد للمعنى، وهذا يدفع إلى الإقرار بتجذُّر أبعاد الطرح التداولى فى مدونات أسلافنا.

2-رصد بعض الآليات الصرفية للاحتياط للمعني في شعر المتنبى بقالب المصدر الصَّريح.

3-بيان أثر هذا الاحتياط للمعني علي إنفاذ عملية التخاطب و إنجاحها، والتأكيد على العلاقة الطردية بين القصدية وقالب الفعل الكلامى.

4-الكشف عن أثر ذلك الاحتياط فى توجيه المعنى، وتمركزه حول ما أريد به.

5-ويَرُومُ الباحثُ – بهذه المعالجة، وبمنهج وصفى [1] أن يكشفَ آليات توظيف المتنبى للوحدات المصدريَّة فى احتياطه لمعناه؛ فصار المصدر القالب المفتاح Tagmeme/ The key Structureللمعنى، أو: كلمة الانفعال، أو علامة المعنى الدَّاخلى؛ تتحول فيه بنية المصدر من كونها بنية صرفية فى علاقة مجردة ما مع عناصر لغوية تركيبية إلى نواة من أنوية الدلالة Semantics فى التركيب Clause النوعى، أو فى النص برمته؛ أو تَصِير بنية المصدر بابًا من أبواب التفكيك للمعنى؛ أو يكون المصدر بمثابة نسقٍ جزئى تتشكل منه الأنساق الكلية للمعنى.

منهج البحث :

ينتهج الباحث المنهج الوصفي، القائم علي رصد بعض مواضع الاحتياط الصرفى للمعني بقالب المصدر الصريح في شعر المتنبى، ومن ثمَّ تحليلها علي ضوء من آليات التتبع للقصد الحقيقي المضمن فيه، التى قامت علي أساس من قصدية الانتخاب، مع المزج –

(1) دوَّن الباحث المنهج الوصــفى، إيمانًا منه بأن جميع المناهج تتداخل مع المنهج التحليلى، حيث إن المنهج التحليلى من لوازم المنهج الوصفى بصورة خاصة.

قليلًا- بين منهجى الإحصاء بالاستقراء الناقص والمنهج النقدى فى التقريب الدلالى لبعض الافتراضات، من دون التعمق فى معطيات كليهما؛ إذ ليس مجال البحث ذا أبعاد نقدية ولا إحصائية محضة ، حيث يحتاج كل منهما إلى بحث منفصل ومستقل.

حدود البحث الحالى : تكمن حدود هذا البحث فيما يلى:

–الحد البشرى: الشاعر العباسى أبو الطيب المتنبى، المتوفى عام 354هـ.

–الحد الموضوعى : الاحتياط الصرفى للمعنى بآلية قالب المصدر الصريح.

–حدود المادة (المدونة اللغوية) : الأقوال الشعرية المثبتة فى ديوان المتنبى، طبعة أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، احتفالًا بالعيد الألفى للشاعر، صححها، وقارن نسخها، وجمع تعليقاتها د: عبد الوهاب عزام، 1363هـ، وعدد صفحاتها (622) بعد المقدمة، التى بلغت حوالى 40 صفحة، مرقمة بالأحرف الهجائية المفردة والمثناة .

–الحد الزمانى(التاريخى): الدولة العباسية فى عصرها الثانى، عام 354هجرية.

الدراسات السابقة:

لا يزعم الباحث أن مفردات بحثه من الجدة علي إطلاقها، فقد سبقت إلى موضوع بحثه بعض الأبحاث؛ لذا يقرُّ أنه يستكمل ما قد يكون فات سابقيه، بتناول مختلف، يمزج بين الأصالة والحداثة، وسيركز عرضه للدراسات السابقة حول ما يختص ببحث الاحتياط للمعنى، إذ عليه تقوم ركائز البحث الحال، ومنها ما يلى:

1. آليات الاحتياط الصوتي والصرفي للمعني في قراءة حمزة، للدكتورة: تهاني فيصل علي البنيان، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف، مجلة الجامعة العر اقية، العدد 49، الجزء الثاني. ويفترق هذا البحث عن البحث الحالى فيما يلى:

–رصدت الباحثة بعضًا من أنماط الاحتياط الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، ومثَّلت لذلك، بيد أننا نجد عناصر البحث ونتائجه قد أغفلت الجانب الدلالي للاحتياط، والأغراض المباشرة له، ولم تعالج قصدية المؤلف فى الانتخاب بين بنية وأخرى حتى يحتاط لمعناه.

–تناولت الباحثة العديد من آليات الاحتياط الصرفى للمعنى، من مثل : الاحتياط بالالتفات، وبتغيير حركة الضمير، وبإيراد المفرد بديلًا للجمع، وبتغيير طبيعة المصدر الثلاثى، والاحتياط باسم الفاعل، وبالتحويل من المضارع إلى الأمر، والاحتياط بتشديد المخفَّف، وبالبناء من المعلوم إلى المجهول، والاحتياط بتغيير بنية الكلمة، ولم تتناول

قالب المصدر الصريح من بين آليات الاحتياط للمعنى.

–اختلف ميدان الاستشهاد بين البحث الحالى وهذا البحث، فقد جاءت مصادر الاستشهاد فى البحث السابق، من شواهد قراءة حمزة، فى حين يختص هذا البحث بدرس الاحتياط الصرفى فى شعر أبى الطيب المتنبى .

2- الطَّرائقُ الصَّرْفيَّةُ والنَّحْويَّةُ للاحْتِياطِ للمَعْنَى في ديوانِ المتنبي، دراسة استكمالًا لمتطلبات درجة الدكتوراه في تخصُّص اللُّغَويات (مسار النَّحو والصَّرف) بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، بجامعة الملك فيصل بالأحساء، إعداد، فَوَّاز العُتَيبِي،1441هـ -2020م، المملكة العربية السعودية، وذكر الباحث أن الاحتياط إنما يكون لتمكين المراد في نفس المتلقي. ممَّا يقرِّب من ثمة مشابهة بينها وبين البحث الحالى، بيد أنه لم يقف علي الأبعاد الدلالية والتداولية للاحتياط للمعني بالطرائق الصرفية، من خلال قالب المصدر الصريح تحديدًا بالإضافة إلى أنه اختلف معه فى مجال التطبيق، فهذا البحث منصب على بَحْثِ الاحتياط الصرفى فى شعر أبى الطيب المتنبى.

فرضيات البحث:

ينطلق البحث من أن الاحتياط للمعني له أبعاد تداولية ونفسية، وأن عملية الانتخاب للقوالب لم تتم لمجرد تمكين المعني وتثبيته فحسب، بل لتحمل زفرة نفسية عند مؤلف النص، وجاءت ردةً لتلاقح فكري بين طرفيه، واُختص بذلك قالب المصدر الصريح بوصفه فعلًا كلاميًّا موصوفًا بالقوة، والتدفق، والإحاطة، والدقة.

يشكِّل الاحتياط للمعني بعدًا اجتماعيًّا، حين يُراعي مؤلف النص طاقة التلقي وعرفيتها والدلالات الاجتماعية للقوالب اللغوية لدي متلقيه، ويرتكز الباحث فى ذلك إلى أن المعنى – عند العرب - مغلَّب على اللفظ، وأن قدر المعنى أعلى وأشرف من قدر اللفظ، حتى إنهم لينتخبون الأصوات والألفاظ؛ مما له خصائص وقدرة على حمل المعنى؛ فجعلوا منها الأضعف للمعنى الأضعف، وجعلوا منها اللفظ الأقوى للمعنى الأقوى.(1)

ويُرجَّح أن أبا الطيب المتنبى قد حمَّل قالب المصدر الصريح وظيفةً تعبيريةً مزدوجةً وتكاد تكون متناقضةً، فراغ إليه، ليجعل منه وحدة كلامية من الوحدات المراوغة، ذات

(1) انظر: الخصائص، لابن جنى، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، (د. ط)، 1418هـ، ج2 : 106

الثنائيات الدلالية المتناقضة؛ فما يلبث المتلقى أن يحسب أن قالب المصدر الصريح عنده آلية من آليات الاحتياط للمعنى المضمَّن؛ إلَّا ويجد أن هذا القالب نفسه قد شكَّل إضاءة بصرية ودلالية، لقالب شكلى، أعان فى اكتناه المعنى.

يعكس البناء المقطعى لقالب المصدر دورًا حاسمًا للبنية اللفظية فى تقوية الدلالية، وتكثيف عناصر الوحدة الكلامية المستقلة حول المعنى المراد، والمضمن فعل القول، من دون فعل القول المتلفظ به . بقى للباحث - بعد معالجة الإطار العام لبحثه - أن يدلف - متعرضًا- لأبعاد الجانب النظرى لمفردات بحثه، والتى يُمكن أن يتناولها على النحو الآتى:

الفصل الأول

الجانب النظرى للبحث ، ويتضمن النقاط التالية:

مقدمــة [1] حول ماهية اللغة التواصلية :

تشكِّل اللغة كيانًا – وكائنًا- حيًّا وحيويًّا من العلاقات المتشابكة بين الدوال ومدلولاتها، يقصد المؤلف - من خلال الرموز والعناصر الإشارية – الضغط على جزء ما يمس الإنسان، بهدف استثارة ذهنه، أو إلهاب نفسه من خلال الاختلاط بين الرموز والصور؛ يشكلان - معًا - معنى ما، يأتلف - من خلال الكلمات والإشارات- فى تركيبة جمالية ذات طاقة انفعالية، يتحقق بها التواصل والإفهام، بعيدًا عن تقييد المتلقى بمعنى نوعى ما، بل جعل حديث الإيحاء - والترميز والتخييل - حاملًا لفيوض من المعانى والدلالات الكلية والجزئية، فى مفارقة صريحة بين المعنى العقلى للكلمات والمعانى المتوقعة أو المحتمل تقبُّلها للمتخيَّل من هذه الكلمات وفقًا لصياغتها، وفئتها، وهيئتها، وموقعيتها، ودلالتها المعجمية والتصريفية والتداولية والاجتماعية، والعالم النفسى لصاحبها، شاعرًا كان أم مؤلفًا غير موصوف بإقراض الشعر. [2]

(1) من الجيد التنبيه إلى أنه لا يُعني البحثَ الحالى التقيُّدُ بالصورة الصرفية للمصدر الصريح، بقدر ما يعنيه اسـتثمار المتنبي لطاقة قالب المصـدر الدلالية في الاحتياط لمعناه ، ومرد ذلك إلي عدم ثبوت صـورة صـرفية أو بصـرية للمصـادر في عمومها ، حيث إننا قد نجد للمصـدر صـورتين أو أكثر، ممَّا يبعث إلي الخلط والخداع الدلالى، فما يُعد أصلًا معياريًّا في بيئة لغوية، تراه - فى بيئة أخري - لهجة استعمالية ، فلا يُمكن التسليم بمعيارية إحدي الصورتين عن الأخري.

(2) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة ، عبد الله محمد الغذامى ، مجلة فصول ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

وتغدو اللغة - بذلك - نظامًا من العلاقات المترابطة Cohesion Features بشبكة من العلاقات، مما يعظِّم من وجود علاقة متشابكة و اتصال قوى ومتشابك بين علمىْ الصرف والدلالة، إذ يُعنى علم الصرف بتصريف الكلمة وتقلُّبها على وجوه متعددة، بين التجرد والزيادة ، وبين كونها مشتقةً ونواة ، وبين متصرفة وجامدة، وبين زيادة بنيتها أو نقصانها، أو تباين فى هيئتها([1]) بالإضافة إلى كون اللغة أداة تواصل وظيفية، وهذه الوظيفة Rote أى العلاقة التى تنشأ بين الملفوظ ومختلف العناصر المكونة له، وهى المقياس الذى يعتمده اللسانى؛ بمعنى مقتصب ، تكمن العلاقة بين العلمين فى العناية بما هو أساسى فى التواصل والتبليغ، أى: ما هو مفيد، بغض النظر بالمقابل عمَّا لا يفيد، أى: لا يحمل شحنة إعلامية أو إخبارية".([2])

ويكون هذا التصرف اللغوى على نحو ما تنادى به المدرسة البنائية/البنيوية فى التحليل الدلالى؛ ليتجنب ذهن المتلقى الزّلات التأويلية للمعنى المقصود، بمعنى أن يقع عبء التعبير عن المعنى على قالب المصدر، فصار له – من حيث الفئة Class والنوع Sort- وظيفية تعبيرية إيجابية([3]) حين يُسهم قالب المصدر فى مجاوزة العناصر اللفظية حدَّ الدِّلالات المُغلقة إلى معاونة المتلقى فى الكشف عن دلالة، أو فيوض من الدِّلالات.

ما سبق يعد انطلاقًا من كون اللغة وسية للإفهام والتواصل بين البشر، كما هو مقرر بأنها أصوات وقوالب و تراكيب ، و أنساق لغوية ، يعبِّر بها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة عن مقاصدهم ، وقد وُضعت اللغة العربية – مثل غيرها من اللغات- بوصفها وسيلة لإفهام الشعوب والتعبير بها عمَّا يُريده المتكلم؛ حتى يصل إلى المخاطب أو السامع بصورة جلية، من دون لبس، أو خلط، أو تعمية؛ من دون عناء ذهنى، فى الفصل بين الدلالات المتواترة من خلال اللفظ أو التركيب بجملته، وبين ثنائيات الانتخاب والاستبعاد، والرد والقبول والترجيح بين الأشياء؛ حتى إن المؤلف ليُخرج اللفظ المناسب

97 :

([1]) آليات الاحتياط الصـوتى والصـرفى فى قراءة حمزة للدكتورة : تهاني فيصـل علي البنيان ، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف ،مجلة الجامعة العراقية ، العدد 49 ، ج2: 189 (بتصرُّف).

([2]) مفهوم اللغة عند البنيويين، دراسة تحليلية : 133

([3]) انظر: مفهوم اللغة عند البنيويين، دراسـة تحليلية، د : إحسـان عبد القدوس، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسـات الإسـلامية ، الإصـدار الرابع ، السـنة الثامنة عشـرة ، العدد السادس والثلاثون، رجب : 1431هـ/ يوليه 2010م : 133

المعبِّر- بدقة- عن المعنى المُراد إيصالُه.([1])

بهذا يجد المتلقى - فى هذا القالب الصرفى - سبيلًا إلى تفسير البنية الكلية أو الدلالة الكلية، من خلال العلاقات المتداخلة بين هذا القالب المصدرى، وغيره من عناصر الشكل Form، التى صاغها المؤلف، وفقًا لغرض أو قصد أو نكتة لغوية أو بلاغية، انطلاقًا من الإضاءات التى توفرها الأبنية النواة ، حين تشكل مفاتيح صرفية للمعنى الكلى؛ أو فى ضوء العلاقات الدلالية بين الوحدات المشكلة للتركيب اللغوى، بوصف قالب المصدر بنية فعل كلامى /انفعال عمدة، تجسد البؤرة الشكلية للمعنى المضمَّن فى فعل القول المنجز، بحيث لا يُمكن – بحال- سلخ بنية المصدر عن مجموع البنية الكلية لانفعال المؤلف، فى ضوء الخضوع النسبى والعرفى لقواعد النحو والأصول اللغوية ، وتفعيل المحددات التداولية.

آلية الاحتياط للمعنى فى فكر الثقافة العربية ، قديمًا وحديثًا(نبذة مختصرة):

أدرك النظام العام للغة العربية أن إنجاح عملية التواصل متوقف على إدراك المؤلف العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو الدوال ومدلولاتها ، لذا احتاط مؤلف الكلام للمعنى بآليات عديدة منها : التذكير، والتأنيث، والتوكيد، والتكرير اللفظى والمعنوى، والتمهيد بزيادات السوابق، والدواخل واللواحق، والاستبدال الصيغى، والتحريك بالتقديم والتأخير، وبالحذف، والعدول والانتخاب ؛ وغير ذلك من آليات الاحتياط .

فكان من تصرفات العرب - فى العناية بالمعانى - دوران المؤلف بين ألفاظ اللغة العربية، يوازن بين مفرداتها، ومعناه الذى يُريده، وقد جعلت له اللغة العربية ضربًا من الاتساع، حين أوجبت - بسياقاتها - أن يكون لكل لفظة معينة دلالة خاصة، فى ضوء العلاقة بين الدلالة المعجمية، والاستعمال والمواضعة، لينتخب منها ما يعبر عن المعنى بإحاطة ودقة، بهدف إبانته، وتصويره ، لذا وصغوا التعريفات والحدود، وفصل بين المسمى والآخر، و أتاحت لمؤلف الكلام أن ينتخب ما يناسب معناه من القوالب اللغوية.

فتصير اللغة الشاعرة – والتى تجسدها الأقوال الشعرية- نافذة نفسية، تنفتح بها نفس الشاعر على العالم الخارجى؛ من الإنسان والأشياء، وغير ذلك من الماديات التى قد تشترك فى تشكيل سياقات الشعر، بوصفه ردة لتأثُّر نفس صاحبه بموقف ما، أو رغبته الملحة فى البَوح بمكنون ذاته، أو التعبير عن حالة خاصة، تنتقل من ذاته، لتكون نواة لتشكيل حالة عامة .

([1]) انظر: ضُروب الاحتياط فى اللغة العربية (دراسة نحوية) : 6087

وتُعد الكيفية التى يُنتخب بها أداء فعل الكلام - أو ماهية أداء الأفعال بالأقوال - جوهر نظرية الفعل الكلامى، كما تعد محددات التلقى والتفسير لهذا المنجز الكلامى جوهر التداولية الحديثة، التى تُقام على مجاوزة الصور البصرية للبنى النحوية المتراصة وفقًا لقانون الرتبة المحفوظة ، أو المحرَّكة فى ضوء محورية القصد ، وقانون الرتبة غير المحفوظة ، حتى تتمحور حول آليات التقبل والتفسير لتلك الأقوال الكلامية ، وكيفية تلقيها لدى المتلقى على اختلاف نوعيته وسياقات التلقى .([1])

إذ إن النظريات اللسانية - والتداوليات الحديثة من زاوية أخص- تنظر إلى القول الشعرى بوصفه فعلًا منجزًا، يتحول إلى فعل كلامى مؤثر، يروم به مؤلف الكلام استدعاء متلقٍّ، حاضر، أو افتراضيٍّ، إلى موقف الاستلزام التخاطبى، بهدف جعله عنصرًا من عناصر الفعل الكلامى المنجز، لينتقل – بعد ذلك- إلى إتيان سلوك فكرى أو حركى أو نفسى، قد يكون سبق التخطيط له، أو جاء عفويًّا من نفس شاعرة، إذ إن نفس الشاعر مرهونة بو اقع محيط، تتداخل فيه الذات، والأشخاص، والماديات، والمعنويات، لتجمعها حالة من التفاعل والمعايشة.

يصبح من الجيد الإشارة – هنا- إلى أنه تُلزم الطروح التداولية الحديثة - وفروعها من سائر أفرع اللسانيات، وعلم لغة النص، أو علم اللغة النفسى العميق – مؤلف الخطاب بأن يوفِّر لمتلقيه بيئة متكاملة من السياقات البنيوية، التى تُعينه – بل تسعفه، إن جازلنا أن نسلم بأن النص كائن حى مراوغ، يستعصى على القراءة الواحدة، أو الصوت الواحد، حيث إن مؤلف النص لا يموت، ما دام هناك تعددٌ للقراء، وتباين السياقات المحيطة - فى الوصول إلى المحتوى القضوى الحقيقى، المقصود من وراء القوالب اللغوية والإشارية.

تلك العلاقة التداولية تتحقق؛ حين نسلِّم – كما هو الحال عند (عبد الله الغذامى)- بأن النص"عملية إبداع جمالى من منشئه؛ وعملية تذوق لهذا الجمال من متلقيه، لا يهدف إلى منفعة محضة، بل ينصب النص برمته على أبعاد جمالية، ويسعى إلى إحداث انفعال ما فى النفس، أو على الأقل إثارة الدهشة، لدى متلقٍّ بعينه".([2]) إذ إن

([1]) انظر: التداولية مقاصد وآداب ، د : صبرى إبراهيم السيد ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1440هـ /2019م: 5-9 (بتصرف).

([2]) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة ، عبد الله محمد الغذامى ، مجلة فصول ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

قصده المضمن بحاجة إلى ما يدل عليه أو يكشفه؛ ليخرج من عالم الغموض([1]) الذى يُداخل العناصر اللفظية والمقامية، إلى عالم الوضوح، مراعيًا ضوابط الاستلزام التحاوري.

ومن الجيد الإشارة إلي أن من سنن العربية أنها تستخدم طرائق متعددة، من أجل تمكين المعني المقصود في ذهن المتلقي ونفسه، وأن العرب كانوا يحتاطون لذلك القصد المركزي، بعيدًا عن الوضوح الساذج.، أو الإيغال فى التعمية والإلباس، إذ ليس هذا من دلائل الحذق أوالتفنن؛ حتى وإن عمدوا إلى تعضيده بمقاصد هامشية، رغبة منهم فى إحداث حالة من المراوغة الفنية، القائمة على جماليات الغموض الفنى الذى يُشكله النظام اللغوى العام، بين المعيارية والمواضعة(الاستعمال والدلالات الاجتماعية للقوالب اللغوية) والذى يقف ذهن المتلقى عنده مليًّا، بين قصدية الانزياح من جهة؛ ورغبة المؤلف فى إنجاح عملية المواراة للمعنى الأصلى(تورية المعنى) من خلال الانتخاب، والعدول، أو التكرير، من جهة أخرى؛ أو اعتمادًا علي العلاقة الثابتة بين مكونات القوالب اللغوي ودلالته، من جهة ثالثة.

و انطلاقًا من أن اللغة قوالب صوتية، و أبنية مقطعية، وكلمات، وتراكيب لغوية صغرى وكبرى؛ بسيطة ومركبة وتركيبية؛ يعبِّربها مؤلف الكلام عن قصده، فإنها " تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها؛ وهى تتيح لمن يشاء أن يغترف من مكنونها، والأساس – فى ذلك – اختيار اللفظ المناسب (القالب الاختيارىOptional المستدعى من القصدية ولغة الاستعمال) والمعنى الملائم، والتركيب المؤدى للغرض؛ وعملية الاختيار– التى يقوم بها المنشئ، تشمل جوانب صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية".([2])

يُستفاد - من الكلام السابق- أن كل قالب لغوى، يحمل معنى نوعيًّا أورسالة فكرية،

97 :

([1]) ينبغى التفريق – هنا- بين نوعين من الغموض ، أحدهما : (الغموض الإيجابى) ،هو: غموض البنية، والذى يُقصد به : أن نسم تلك العناصر التركيبية بامتلاكها طاقة من الغموض الفنى ، الذى يفتقر إلى التأمل وإمعان الفكر، فى محاولة استكشافه ؛ والذى يسهِّل عملية إقناع المتلقى و اقتناعه ، والآخر: (الغموض السلبى) ، وهو: غموض الدلالة ، ويُقصد به مغالاة المؤلف فى مواراة الدلالة الداخلية عن ذهن المتلقى فى نمطه السطحى ، أوحتى المتلقى الضمنى ، ليصل إلى المتلقى المتعمق ، بل قد يصل أمرهذا الغموض إلى حد التعمية .

([2]) علم الأسلوب المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م
7 :

ويشكل دلالة خاصة فى ذهن المؤلف، قد يتسع مجال الدلالة ليشمل تجربة حياتية خاصة، وعندما يشرع المؤلف فى إنتاج قصده، ينتخب من الألفاظ، ما يصلح للتعبيرعن دلالة نوعية خاصة، ويصبح لكل قالب لغوى وظيفة تعبيرية معينة، تكشف عنها طبيعة التركيب، وسياقات التلقى.(1)

وقد كانت العرب – وما تزال- تحتاط لمعانيها؛ حتى لا يخرج مؤلف الكلام بالألفاظ عن قصده المُراد له، ويروغ مؤلف الكلام إلى ذلك التصرف اللغوى؛ دفعًا لسوء الفهم، أوتوهم غير المراد من لدن المتلقى، فإذا ما أراد تثبيته في نفس المتلقي، احتاط له؛ خشية أن يقع في طاقة تلقيه غير المراد؛ لأن المتكلم قد يتكلم بقوالب لغوية مراوغة، تجعل المتلقي يفهم غير ما قُصِد، حيث إن الاحتياط سلوك نفسي مقصود من قبل مؤلف النص.

ومن مظاهر حرصهم على الاحتياط للمعنى أنهم قيدوا الفعل بكمية إيقاع الحدث، حتى إنهم احتاطوا لدلالة الزمن، حين عبَّروا بالمضارع عن دلالة التحقق فى الماضى، يقول ابن جنى: " ومنه قولهم: لم يقُمْ زيدٌ. جاءوا فيه بلفظ المضارع ، وإن كان معناه المضى، وذلك أن المضارع أسبق رُتْبةً إلى النفس من الماضى، ألا ترى أن أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة، ثم توجد فيما بعد، فهذا نفى المضارع الذى هو الأصل ، فما ظنُّك بالماضى ، الذى هو الفرع؟".(2) كأن إيقاع الفعل لم يكُنْ ثمَّ كان.

وقد أدركت آلية المواضعة اللغوية أو الدلالية فى ضوء الاستعمال التداولى – الإلقاء، والتقبل، والتفسير- أن الاحتياط للمعنى فيه كثيرٌ من الجمال ودو افع القبول، بالإضافة إلى ما فيه من قدرة على تعميق المعنى أوتخصيصه ،والتحويط عليه ؛ حتى يبلغ متلقيه، ومن المعلوم أن المعنى كلما غمُض لذَّ، وتفعيلًا منها لذلك راغ الحذَّاق من العرب إلى الطرائق الصرفية والنحوية والإشارية، واستعانوا بالسياقات المتعددة، بوصف السياق جانبًا من جوانب بنية القوالب اللغوية (3) المعينة على التواصل والإفهام؛ و انتخبوا لذلك القوالب والتراكيب المختلفة.

(1) انظر: علم الدلالة المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، (د . ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د .ت) : 19

(2) انظر: الخصائص ، ج3: 71-74

(3) انظر: ظواهرلغوية جديدة فى اللغة العربية ، د : حازم على كمال الدين ، (د. ط) مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د .ت) : 17

وكان من بين القوالب الموصوفة بالقوة اللفظية، بالإضافة إلى قوة المعنى لديهم هو قالب المصدر الصريح، الذى عبَّروا عن قوته بأبواب من أشهرها ، قولهم : قوة اللفظ وقوة المعنى؛ لاسيما أن قالب المصدريُشكِّل آلية حاسمة فى تمكين القصد، إذ هو الصورة الأصلية للحدث، ودليل قوة إيقاعه أو ضعفها، وهو الأكثر تحديدًا لمعطيات دلالة القصد، أو ما يُمكن أن نسميه : مفتاح الدلالة المركزية، حين نضع عناصر الكلام بين نقيضي المركزية والهامشية.

ومما يؤيِّد هذا الأمر إشارة ابن جنِّي (ت392هـ) إلى أن هذا الاحتياط للمعنى يُعد عُرفًا لغويًّا، يروغ إليه الحذَّاقُ من أرباب اللغة، ولعل ابن جنى يعد أول من استعمل مصطلح الاحتياط للمعنى من اللغويين، فى إدراك منه للوظيفة التعبيرية التى يقوم بها؛ لذا فقد عقد بابين فى هذا الشأن، أحدهما : " باب فى الزيادة فى صفة العلة لضرب من الاحتياط ، والآخر: بابًا فى الرد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعانى، فقال :" ويدلُّك على تمكُّن المعنى في أنفسهم، تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة؛ وذلك لقوة العناية به، فقدَّموا دليله، ليكون ذلك أمارة لتمكُّنه عندهم.(1)

وعدَّد ابن جنى طرائق العرب فى الاحتياط لمعانيها، حين أشار إلى أن زيادة المبنى تثبت لحال المزيد عليه، وأن جميع ما يورده مؤلف الكلام يحتاجه الاحتياط للمعنى؛ ويصير ذلك تأكيدًا له، وجعل من ذلك إخراج الحرف على أصله، فى إشارة منه إلى الدلالة الأصلية للقوالب اللغوية، لأن ترك الأصل يؤدى - أحيانًا- إلى الإفساد على المتلقى .

ومن أدق ما تنبَّه إليه هو أن السوابق اللفظية تعد من ممهدات دلالة، التى تمنح اللفظ قوة، ودقة فى التحويط للمعنى ، وتدفع المتلقى إلى معنى ما، وأن انتخاب الأصل - للدلالة على المعنى الأصلى- هو ضرب من الاحتياط والاستراحة التواصلية، والبعد عن اللغو والخطل؛ وقد ساق مثالًا يُدلل به على ما ذهب إليه، من قول القائل: جاءنى طلحةُ . فتقول: لم ارتفع طلحةُ؟. وساق أدلة ذلك فى أن يكون الأمر لإسناد الفعل إليه، ولأنه مؤنث؛ أو لأنه علم؛ وفنَّد ذلك؛ بأنه لم يكن ذكرك التأنيث والعلمية إلَّا كقولك : ولأنه مفتوح الطاء، أو لأنه ساكن عين الفعل، و إنما المُراعى - من ذلك- كونه مسندًا إلى الفعل، ومن صور ذلك: إن مجيءَ الميم مصدَّرة في أول الأسماء، المصدرة بالميم الزائدة من المشتقات والمصادر لم يكن إلَّا لمعنى.(2)

---

(1) الخصائص ، ج1 : 190

(2) انظر: الخصائص ، ج1 : 174 - 175

ومن أمثلة ذلك – أيضًا- إشارته إلى أن العرب" تُعنى بألفاظها وتصلحها، وتهذبها، وتراعيها؛ وتلاحظ أحكامها، وتتكلَّف استمرارها، فإن المعانى أقوى عندهم، وأكرم عليها؛ وأفخم قدرًا فى نفوسهم، إذ إن الألفاظ عناوين المعانى، وطريقًا إلى إظهار المقاصد، والعرب تحتفى بألفاظها؛ لتكون أوقع فى السمع، وأذهب فى الدلالة على القصد، فعناية العرب بألفاظها خدمةٌ منهم للمعاني، وتنويهٌ بها، وتشريفٌ لها، ونظير ذلك إصلاحُ الوعاء وتحصينُه، وتزكيتُه، وإنما المَبْغِيُّ بذلك منه الاحتياطُ للمُوعَى عليه، وجواره بما يُعَطِّر بَشَرَه، ولا يَعُرُّ جَوهَرَه".(1)

وقد اعتمد النُّحاة القالب اللفظى الناجم عن اختيارات المتكلم سبيلًا للكشف عن المعانى المضمنة العميقة في توجيه كثير من المسائل النحوية، والصرفية، والدلالية، حيث وجَّهوا عنايتهم إلى قصدية المتكلِّم، وميَّزوا بين مستويين من التَّراكيب عند التعرض لدراستها، مستوى التركيب العادى، وهو مستوى يكمن فى رصد الصَّواب والخطأ في التراكيب، ومستوى بخلاف التركيب العادى، وهو ما يُمكن أن نسميه: التركيب الفنى الجمالى، ويكمن هذا المستوى فى إدراك العلاقات المتشابكة بين الجمل في التَّراكيب اللغوية، واكتناه أبعاد الجمال واللذة فيها .

وقد عقد ابن جنى بابًا مستقلًّا فى الاحتياط للمعنى، مُشيرًا إلى أن للعرب طرائق تحتاط بها للمعنى، بغية تمكينه وتثبيته فى ذهن المتلقى، بحيث لا يصدم طاقة تلقيه، ولا يراوغ أفق انتظاره، على اختلاف أنماط التلقى وسياقاته فى ضوء التقييد والاحتمال والفيوض الدلالى والتقبُّل ، بين الذهن إلى الإنكاروالجحد؛ فأحيانًا تكررالألفاظ، وأخرى تكرر المعنى، بغرض الإحاطة والعموم؛ وثالثة تقصد إلى مراعاة النوع، من التذكير والتأنيث؛ على نحو ما نرى فى القوالب الاسمية والفعلية، والضمائر، ومن ذلك ما قرروه من أن الأدوات قد تؤكد الأدوات، وأنهما قد تأتيان مجتمعتين لمعنى واحد، وهو التوكيد(2)

أو ما قد يقصد إليه مؤلف الكلام من الزيادات، بغية التوكيد، نحو قول القائل، حين يُريد الإثبات عن زيد، من نحو قولك : جاءنى زيدٌ : أزيدٌ إنيه؟. وفى باب: رأيتُ زيدًا:

(1) وقد ساق ابن اجنى أمثلة عديدة لاحتياط العرب لمعانيها ، انظر الأمر تفصيلًا : الخصائص ، ج1 : 192-209

(2) على نحو ما نرى من اجتماع لام الابتداء ، ونون التوكيد المباشرة الثقيلة أو الخفيفة ، فى مثل قولنا : لَتَقُومَنَّ، ولِتَقْعُدَنَّ ، فالنون واللام جميعها للتوكيد . انظر: الخصائص ، ج3: 77

أزيدًا إنيه؛ فكما زيدت (إن) – هنا- توكيدًا مع غير(ما)، فكذلك زيدت مع (ما) توكيدًا ، وكذلك إيقاع الترادف والمشاركات الدلالية بين الأفعال، فيما اتفق لفظه واختلف معناه، نحو: وجدت فى الحزن، ووجدت فى الغضب،. ووجدت فى الغنى، ووجدت فى الضالة، ووجدت بمعنى: علمت، ثم يقرر ابن جنى أن وجوه الاحتياط فى الكلام كثيرة .([1])

آلية الاحتياط وطاقة التلقى:

تدور مادة (حوط) فى لسان العرب لابن منظور (ت711هـ /1311م) حول الرعاية، والحيطة، والحفظ، والتعهُّد، والأخذ بالحيطة أو بالأوثق، والتجنُّب؛ وتقديم كل ما فيه إزالة للشك؛ من قولهم: احتاط الرجل . أخذ فى أموره بالأحزم، واحتاط الرجل لنفسه: أخذ بالثقة؛ والحوطة، والحيطة: الاحتياط؛ من الصيانة والرعاية والحفظ، من الإحاطة، والجمع؛ لأنه يُقصد به أنه يحوط بالشىء، وحوَّط كرْمه تحويطًا؛ أى: بنى حوله حائطًا، والحائط: البستان من النخيل؛ إذا كان عليه حائط، وهو الجدار، وأحاط بالأمر: أى : علمه من جميع جهاته.([2]) وقد ترادفت ألقاب الاحتياط فى الدلالة على معنى الحذر، ومن مسمياته : الاحتراز، والاحتراس، التتميم؛ (قوة اللفظ لقوة المعنى) والتكميل.

ويكون المقصود بالاحتياط – هنا - ما يسلُكه مؤلف الكلام من انتخاب لقوالب صرفية؛ من جنس الاسم، أو الفعل، أو الخوالف، أو قوالب لغة الإفصاح، أو الحرف، ليعرض قصده للآخر بصورة جيدة ومقبولة، وتقع دلالة تلك القوالب الكلامية على مسافة متساوية بين الوضوح والتعمية، بيد أن مؤلف الكلام أقرب إلى أن يعتمد على تلك العناصر اللفظية فى الكشف عن المعنى بما توحيه من دلالات، والعلاقة بين هذا الإيحاء والمعيارية الصرفية أو النحوية علاقة نسبية ، لا تستلزم الخضوع المطلق من الأولى للأخيرة.

بل تهدف تلك الكلمة النواة إلى تَغْيِيب مراوغةِ الشكِّ، وتَجْلِيَةِ قناع الدلالة، التى قد تخرج عن مألوف العرف فى التأويل وفقًا لصورتها البصرية، وتشغل تلك الكلمة النواة، من فئة المصدر موقع التوسط بين الوضوح، والتحدى والمباغتة لذهن المتلقى المتعرض لتفسيرها، أو لمحاولة اكتناه المعنى الكلى للتركيب أو النص.

ما يهم - فى هذا الموضع- هو التسليم بأن عملية إغماض المعنى أو الاحتياط له

([1]) انظر: الخصائص ، ج3: 71-79

([2]) انظر: لســان العرب ، لابن منظور، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرين ، (د . ط) دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) ، ج2 : 1052 ، مادة (حوط).

تصرف لغوى مقصود، يشكل حقًّا أصيلًا لمؤلف الكلام؛ ما دام قد اطمأن إلى إمكانية وصوله إلى متلقيه المقصود، وأدرك امتلاكه لمقومات اصطياد القصد، متجنِّبًا – بذلك- قصدية التعمية والخلل، والإرباك، وإن اكتنفه قدرٌ من التورية أو الغموض، الذى يجب عليه – بناء على ذلك- أن يقتنع بضرورة تقدير تلك الذات المؤلفة للقوالب والتراكيب الحاملة للمعنى ، كما يلزمه أن يرجع إلى ذاته ونفسه، محاولًا استكشاف المعنى الذى قرَّ فى نفسه، وعرضه على أفق انتظاره، وإحساسه، وتذوقه.([1])

نجد هذا المعنى فى كلام ابن رشيق القيروانى(456هـ/1064م) حيث ذكر مصطلح التتميم مشيرًا به إلى مصطلح الاحتياط، فعقد بابًا، أطلق عليه: باب التتميم، وذكر أنه ضرب من ضروب الاحتراس للمعنى والاحتياط له، وهو: أن يُحاول الشاعر معنى؛ فلا يدع شيئًا يَتم به حسنه إلَّا أورده، و أتى به؛ إما مبالغة، وإما احتياطًا، واحتراسًا من التقصير والفساد، وإما حرصًا على تمامه من النقصان".([2]) ووفاءً للمعنى.

واستمر المحدثون فى التأكيد على ضرورة احتياط المؤلف لمعناه، وجعل ذلك دليل لذة وحذق؛ فجعلوا من واجبات المؤلف أن يوفر لمتلقيه بيئة من الصدق والتحويط لمعناه الذى يقصد إبلاغه له، من أدلة ذلك ما أكده عبد الله محمد الغذامى من أنه ليس من شك في أن الاحتياط للمعني يُتيح لمؤلف النص أن يتواصل مع الآخر، في عملية دينامية ناجحة، تُراعي أفق الانتظار، وتوفر نصًّا قويًّا وجيدًا، وقادرًا على التعبير عن القصد المركزي لمؤلفه، بعيدًا عن التأويلات المحتملة، وهذا – لا شك – يجعل لغة النص لغة عالمية، ويُتيح لشعوبها ولثقافتها الهيمنة على مختلف الثقافات الفرعية، وحين يحتاط المؤلف لمعناه" يكرر المعنى ويؤكده، ليعمق صورته فى نفسه، وفى نفس متلقيه أو قارئه؛ على نحو يكشف جزيئات المعنى المركزى، ليجعل المتلقى يتوق إلى امتلاك ملكات الغوص والتنقيب، بغية استحضار ذلك المعنى إلى ذهنه ونفسه.([3])

يقتضى هذا الاحتياط للمعنى - عند الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل- أن

([1]) انظر: القاعدة والذوق فى بلاغة السـكاكى، د : يوسـف رزقه ، مجلة الجامعة الإسـلامية، المجلد السابع، العدد الأول، يناير(1999م): 195

([2]) انظر: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج2 : 43 - 45

([3]) انظر: كيف تتذوق قصـيدة حديثة ، عبد الله محمد الغذامى، مجلة فصـول، الجزء الثانى، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة : 102

يحرص مؤلف الكلام على إفهام المتلقى رسالته المضمَّنة، أو قصده المركزى- حتى من قبل أن يجعلها فعلًا كلاميًّا منجزًا - وتوجيهه نفسيًّا أو فكريًّا نحوها، إما بالإيجاب، من خلال سلامة أداء الكلام، و انتخاب الفصيح المحكم من القوالب اللفظية والإشارية المشيرة للمعنى، حيث إن من سنن الحس العربى أن يلذَّ سماع القالب الفصيح للتعبير الصحيح، مع قصدية الإطراب والتفنن؛ فإن هذا يحمل المعنى المضمن، ويمثله تمثيلًا صادقًا؛ وإما بالسلب؛ من خلال ترك ما سلف من محددات ومعايير.([1])

بحيث لا تتجاوز القوالب اللغوية الدلالة على المعانى التى وُضعت لها، بعيدًا عن المغالاة فى التفنن والتعمية والإلغاز([2]) إذ يغدو المعنى الكلى غير واضح، وبعيدَ الحضور والمأخذ؛ مما يجعل المتلقى فاقدًا للشعور باللذة ، إذ إن شعوره باللذة الصوتية والتدفقات الدلالية يؤدى إلى سرعة تثبيت المعنى فى ذاكرته ([3]) بالإضافة إلى ترخُّص السنن العربية فى علة أمن اللبس؛ لأن غرض المتكلم الإفهام، واللبس يمنع ذلك، فقد يُؤتى بكلمة اختصارًا للمعنى، وتجميعًا له، أو للدلالة عليه، ومهمة الانتخاب إزالة الالتباس، والتوسع الدلالى.([4])

كما تُشير الدكتورة (آمال أحمد السيد عامر) إلى أن مصطلح الاحتياط يكمن فى : أن يروغ مؤلف الكلام إلى ما يلطف به معناه، عند المخاطب، بصورة تحجب كل خلط أو سوء فهم، وتحترز منه.([5]) مما يُشير إلى وجوب التزام مؤلف الكلام بملكات التحفظ والاحتراس من توقُّع المتلقى غير ما أراد المؤلف من دلالات، بهدف إزالة الشك لدى متلقيه، والأخذ بآليات الأحوط فى تمركز الذهن حول القصد المركزى الحقيقى.([6]) ويلفت

([1]) انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د : محمد حسن حسن جبل ، ط2. البربرى للطباعة الحديثة ، الغربية ، 2001م :11 ، و انظر: علم الدلالة المقارن : 37

([2]) انظر: من مظاهر الحداثة فى الأدب ، الغموض فى الشعر، محمد الهادى الطرابلسى ، مجلة فصول ، الحداثة فى اللغة والأدب ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو / أغسطس/سبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة :30

([3]) انظر: نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1433هـ/2012م : 23

([4]) انظر: أصول النحو ، دراسة فى فكر الأنبارى ، د : محمد سالم صالح ، ط1 ، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 1427هـ/2006م : 364 - 367

([5]) انظر: ضُروب الاحتياط فى اللغة العربية (دراسة نحوية) : 6091

([6]) آليات الاحتياط الصوتي والصرفي للمعني في قراءة حمزة ، ج2: 187

النظر – هنا- اتفاق المعنى المعجمى والاصطلاحى للاحتياط فى تمركز القوالب حول معنى معين، خشية الوقوع فى سوء الفهم والتفهم، أو فهم غير المُراد.

لذا فإن تصرف الاحتياط للمعنى – من جانب المؤلف - عمل فكرى مقصود، وتصرف لغوى مخطط لاه ، يروغ إليه مؤلف الكلام بغية الإحاطة بتمام المعنى، والأخذ بالأوثق، منتخبًا دلالة معينة لكل لفظ استخدمه، ومقدمًا لمتلقيه بيئة من الألفاظ والمعانى والسياقات، التى تكون رافدًا للإحاطة بمعناه الذى يُريده، دافعة ما يستدعى الشك والخلط عن ذهنيته، وتعدد الاحتمالات الدلالية الواردة، وله صور، من مثل ما يُمكن إجماله فى: آليات الاحتياط الصوتى، والصرفى، والدلالى، والتركيبى، والتداولى، وله آليات نوعية عديدة ، تشمل مختلف الصور السالفة الذكر.

حيث إن العلاقة بين الانتخاب للقوالب الصرفية واحتياط المؤلف لمعناه([1]) فيها كثير من التشابك والتداخل، إذ إن علم الصرف يُعنى– كما أشار الإمام السكاكى(ت626هـ)- بتتبع أصول القوالب اللغوية فى ضوء الوضع والملابسات والأقيسة؛ وأجناس المعانى، التى تُشير إليها تلك المبانى اللغوية، ووضع اعتبارات منضبطة لهذه القوالب فى ضوء ما تحمله من دلالات اجتماعية وعرفية، بالإضافة إلى ما يُصيب بنية القالب اللغوى من زيادة أو نقصان؛ أو قلب أو إبدال؛ أو التبديل([2]) لبعض حروفها لعارض، أو النظر إلى هيئتها، وما يلحقها من تغيُّر، بوصف تلك القوالب ممَّا يقع تحت ضبط الأصول اللغوية والصرفية.([3])

حين نعقد موازنة تداولية بين قوة القالب اللغوى، كونه اسمًا أو فعلًا، أو غير ذلك من المتممات الكلامية نجد أن المصدر يقع فى منطقة وسطى بين الاسمية والفعلية؛ وهذا أمر فيه خلاف بين النحاة؛ بيد أن كثيرًا منهم قد جعله إلي الاسمية أقرب، يقول ابن السرَّاج (ت316هـ) :" وأما ما كان غير شخصي، فنحو: الضَّرْب، والأَكْل، والعِلْم".(4) ومن

([1]) انظر: لسان العرب ، ج2 : 2434 – 2437 ، مادة: (صرف).

([2]) انظر: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط4 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م :34

([3]) انظر: مفتاح العلوم ، للإمام، أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى (ت 626هـ) ، ضبطه ، وكتب هوامشه ، وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م : 10

(4) الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، العراق، ط 1973م، م1: 38

المعلوم أن فى الاسم دلالة على العموم، وعدم التقيُّد، بخلاف الفعل، فقيدُه فى خضوعه لعامليْ الحدث والزمن، لذا فحين تتسابق القوالب الكلامية نحو الصدارة، أو وصولًا إلى الأصل والفرع، نجد أن المصدر" إنما سُمِّى مصدرًا ؛ لأن الأفعال صدرت عنه، أى : أُخذت منه، تشبيهًا بصدر الإبل، وهو المكان الذى ترده الإبل، ثم تصدر عنه ".([1]) معنى هذا أن المصدر قد امتلك ر افدى القوة الدلالية من الاسم والفعل. وكأن المصدر يكرر الخبر.

مصطلح المصدر فى اصطلاح القدماء والمحدثين:

●المصدر فى اصطلاح القدماء:

تدور مادة (صدر) حول أصل الأشياء وبدايتها، ومقدماتها، والعلو، والعظمة، من أصدر الرجل، أى : عظيم الصدر؛ وأول الأمر، فإن صدر الأمر: أوله؛ والإصابة بداء الصدر والسعال؛ وكذلك تدل مادته على القوة، من قولهم : مُصَدَّر، أى : قوى الصدر شديده، وقد صدر، يصدُر، صدْرًا، وصُدُورًا، ومصدرًا، والصدر: أعلي مقدم كل شيء، وأوَّله ، حتي إنهم ليقولون: صدر النهار، وصدر الشتاء والصيف، وصدر الأمر أوله، وأصدرته، فصدر، أى: رجعته، فرجع، والموضع مصدر؛ ومنه قيل للموضع الذي تصدر منه الإبل: مصدر، والمصدر: أصل الكلمة التى تصدر عنها صوادر الأفعال".(2)

يُفهم - من هذا الكلام- أن قالب المصدر هو أصل الاشتقاق، الذى تتصرف منه الكلمة إلى صيغ شتى، تجمعها المادة المعجمية التى عليها قالب المصد، وتتوقف دلالتها بمحددين، الدلالة الوظيفية، والدلالة الاجتماعية، التى يحددها الاستعمال، ويتضمن هذا المعنى أن يكون المصدر أوَّل الكلام، وهو أصل اشتقاق(مادة أولية) تُشتق منها الأفعال، لذا فهو أصل كل أجناس الفعل، لذا فهو أصل الحدث The event؛ فلا يُمكن الحديث عن زمن، من دون الإحاطة بالحدث أو بإيقاع الفعل، فلو أردنا دلالة للفعل، نحو كتب، وتجر، وذهب ، وحفظ ؛ وأردنا توكيد معناه لقلنا: الكتابة، والتجارة، والذهاب، والحفظ.

لذا فقد يجرى المصدر مجرى الفعل معنى، وعملًا، يقول سيبويه (ت 180هـ) : " هذا

([1]) الكُنَّاش فى النحو والصرف ، لأبى الفداء الملك المؤيَّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت732هـ) تحقيق، د : على الكبيسى ، ود : صبرى إبراهيم ، (د. ط) مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر، الدوحة ، قطر، 1413هـ/1993م :189

(2) انظر: لسان العرب ، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، ط دار المعارف، القاهرة، (د . ت)، م4: 2413، مادة : (ص ، د ، ر) .

باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع؛ فيعمله ومعناه، وذلك قولك: عجبتُ من ضربٍ زيدًا، فمعناه : إنه يضرب زيدًا، وتقول: عجبتُ من ضربٍ زيدًا بكر، ومن ضربٍ زيدًا عمرًا؛ إذا كان هو الفاعل، كأنه قال : عجبتُ من أنه يضرب زيدٌ عمرًا، ويضرب عمرًا زيدٌ".(1)

فالمصدر– في اصطلاح النحاة : بنية صرفية مستقلة، تدل علي الحدث، العارى من قيد الزمن، وقد أشار سيبويه(ت180هـ) إلي هذا المعني، حين قال، متحدثًا عن الأفعال:" وأما بناء ما مضي؛ فذهب، وسمع ومكُث، وحُمد، وأما بناء ما لم يقع؛ فإنه قولك – آمرًا: اذهب، و اقتل، واضرب، ومخبرًا: يقتل، ويذهب، ويضرب، ويُقتل، ويُضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع، وهو كائنٌ إذ أخبرت؛ فهذه الأمثلة التى أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ، ولها أبنية كثيرة ، والأحداث نحو: الضرب ، والحمد والقتل ".(2)

لذا يسميه سيبويه : الحدث، بمعني أن المصادر أسماء، حين نخضعها لضوابط الفعلية، بيد أنها تدل علي الحدث في المعني، ويُقصد بذلك الحدث المعنى الصادر من الفعل المجرد من الزمان، فالمصدر بنية متصلة بالفعل، يعمل عمله، سواء كان المصدر بمعنى الماضى، أو الحال، أو الاستقبال. وفي هذا المعني يقول ابن مالك(ت 672هـ) :

الْمَصْدَرُ اسْمٌ مَا سُوَي الزَّمَانِ مِنْ	مَدْلُولَيْ الْفِعْلِ كَأَمْنٍ مَنْ أَمِنْ .(3)

وقد عرَّفه ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) بأنه : من الأسماء التى تعمل عمل الفعل، هو : اسم الحدث الجاري علي الفعل، كضرْب، وإكرام، و شرطه ألَّا يصغَّر، أو يُحدَّ بالتاء، نحو: ضربته ضربتين أو ضربات، ولا يُتبع قبل العمل، وأن يخلُفه فعل، مع أنْ أو ما، عمله منونًا أقيس ".(4)

● <u>المصدر في اصطلاح المحدثين :</u>

يكون من الجيد الاقتصار على ما أشار إليه الأستاذ عباس حسن، حين يعرِّف المصدر، بأنه : ما دلَّ علي حدث مطلق، تجرَّد عن الزمان؛ بمعني أنه لا يدل علي مسمي،

---

(1) الكتاب ، ج1: 189

(2) انظر: الكتاب، لسيبويه ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ//1988م ، ج1 : 12

(3) ألفية ابن مالك ، تأليف : ابن مالك ، تحقيق : مصطفي البابي الحلبي ، (د . ط) ، القاهرة ، (د. ت) 29:

(4) انظر: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار الطلائع، القاهرة، مصر، 2004م : 392

إنما يشمل الحدث فحسب، مثل حال الفعل؛ بيد أن الأخير يُحيط الحدث بزمنه، وهذا معناه أن المصدر لا يُشارك الفعل فيما يخص الزمن.(1) فقد شمل بهذه التعريف أبعاد دلالة المصدر، وإحاطته بالمعنى مع التوسع فى قيد الزمن.

قوة القالب المصدري والاحتياط للمعنى :

ما يُهم - فى هذا الموضع- ما تمتلكه القوالب المصدرية من قدرة ذاتية واجتماعية فى عرض الحدث بصورة مقيّدة له ، مع الإشارة إلى مطلق الزمن من دون تحديد، لأن المصدر هو الأصل، والفعل المعبر عن الحدث فرعه، لذا جاءت قوة المصدر فى تمكين المعنى من عدم تقيده بزمان من دون زمان، بل يعمل المصدر عمل الماضى، والحاضر، والمستقبل ؛ لأنه أصل لكل واحد منها .

بدليل أن عمله عمل فعله مرهون ببقائه على صيغته المصدرية المكبَّرة المجردة، التى صدر عنها الفعل، واشتق منها ، بالإضافة إلى أن نسبة الحدث مع المصدر أظهر وأوقع [2] فإن المعنى - مع صيغة المصدر- مضاعف ومكرر، فهو – لذلك- أشد تمكُّنًا فى ذهن المتلقى، و أقوى لصوقًا، وأكثر تعلُّقًا ".[3] ودليل قوة قالب المصدر على تمكين المعنى وتثبيته أنه يدل على المعنى منفردًا، مع استغنائه عن العامل، ويعمل عمل الفعل مع حذفه[4] لذا فهو يدل على المعنى، وعلى فعله، بالإضافة إلى كونه يصير مناسبًا للفعل، حين يعمل مضافًا إلى فاعله ، وكأن الفعل ومعناه موجودان فى قالبه الصرفى.

فقد يكون الاحتياط - للمعني - بالمصدر بالعدول من صيغة إلي أخري، من باب الاستحسان لدي ذهنية المتلقي للنص، أو لشيوع تلك الصيغة في بيئة ثقافية ما، أو في إطار اجتماعي محدد، أو لقصدية المؤلف أن يعي متلقيه قصده، أو لارتباط إحدي الصور المصدرية بذهنية أحد مستخدمي النص، أو لاتصالها ببُعد نفسي لدي أحد أطراف الكلام، وهنا يقوم قالب المصدر بعملية البسط الموضوعى لما أراده المؤلف، ويجنِّب عناصر التراكيب الانغلاق الدلالى، ويُتح للمتلقى القيام بعمليات التفسير، حين يُسهم فى

(1) انظر: النحو الوافي ، الأستاذ : عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1973م ، ج3 : 108

(2) انظر: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى المصرى ، ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محى الدين عبد الحميد ، (د . ط) ، دار الطلائع ، القاهرة ، ومكتبة الساعى ، المملكة العربية السعودية ، 2004م : 393

(3) انظر: شرح التسهيل ، ج2 : 434 - 440

(4) انظر: مفتاح العلوم : 124

إبراز القصد المضمن.

وكأن ذلك أسلوب يلجأ إليه مؤلف الكلام؛ لتمكين قصده المركزي من كلامِه؛ لئلا تخرج ذهنية المتلقي عنه، ولا وجدانه؛ ويتمركزان حوله، وليس من شك فى أن هذا العدول الصرفى الدلالى تصرف يدفع به مؤلف النص متلقيه عن الظن والاحتمال غير المقبولة أو المرجَّحة، وسوء التأويل، أو حمل الكلام علي غير معناه؛ ويجيء الكلام بقوالب لغوية، تنسجم ما قصد المتكلم الاحتياط لمعناه، وتمكينه فى نفس متلقيه، بُغية إنجاز عملية التواصل، بطريقة ناجحة، وذات أثرباق، وتصبح أكثر تعلقًا بنشاطات المتلقى الدماغية.

وقد تنبَّه ابن جنى(392هـ) إلى أن للمصدروجهًا معنويًّا، غرضه توكيد الخبر، يقول: " أما الصناعى فليزيدك أُنسًا بشبه المصدر للصفة، التى أوقعته موقعها، كما أوقعت الصفة موقع المصد؛ فى نحو قولك: أقائمًا والناس قعودٌ، أى: تقوم قيام والناس قعود، ونحو ذلك ، أما المعنوى فلأنه إذا وُصف بالمصدر؛ صار الموصوف كأنه فى الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل؛ وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إيَّاه، ويدل على أن هذا معنى لهم، ومتصوّرٌفى نفوسهم".([1])

وفى هذا المعنى يقول ابن منظور: " اعلم أن المصدر المنصوب بالفعل الذى أُشتُق منه مفعول، وهو توكيد للفعل؛ وذلك نحو: قُمْتُ قِيَامًا، وضَرَبْتُهُ ضَرْبًا ؛إنما كررته؛ وفى قمتُ دليلٌ لتوكيد خبرك، على أحد وجهين: أحدهما أنك خفت أن يكون من تخاطبه لم يفهمْ عنك أول كلامك ؛ غير أنه علم أنك قلت : فَعَلْتُ فِعْلًا ، فقلتَ: فَعَلْتُ فِعْلًا. لتردّد اللفظ الذى بدأت، مكرّرًا عليه؛ ليكون أثبت عنده من سماعه مرة واحدة، والوجه الآخر: أن تكون أردتَ أن توكد خبرَك عند من تخاطبه، بأن لم تقُل: قُمْتُ، و أنت تُريد غير ذلك، فردَّدْتَه؛ لتوكيد أنك قلته على حقيقته، فإذا وصفته بصفة، لو عرَّفْتَه دنا من المفعول به؛ لأنك فعلتَه نوعًا من أنواع مختلفة، وخصصته بالتعريف؛ كقولك : قلتُ قولًا حسنًا، وقُمْتُ القيامَ الذى وعدتك".([2])

وتبدو قوة المصدر في تخصيصه للمعني الذي يُشير إليه، وفي الحدث الذي يشمله، فهو يدل علي المعني أكثر ممَّا يدل عليه سواه، لذا فإن سيبويه يجعل المصدر أصلًا للفعل، فهو يدل علي الحدث، ومن قام به، وقد تابع الزمخشري رأي سيبويه .(3)

([1]) انظر: الخصائص: ج 3 : 185

([2]) لسان العرب ، م4: 2413 – 2414 ، مادة : (صدر ، وصدع).

(3) انظر: المفصَّــل فى علم العربية ، ، لجار الله الزمخشــري ، دار الجيل ، (د . ط) بيوت ، لبنان ، (د .

وقد استثمر المحدثون هذا الأمر في الربط بين دلالة كل مصدروقدرة فعله فى إيقاع الحدث، وقسَّموا المصادر إلي مجردة، وهي التى تؤدي معني الفعل فحسب، وإلي مركبة، وهي : التى تؤدي المعني الأصلي الحاصل في الفعل، مع الزيادة في الحدث، التى نتجت عن أحرف الزيادة، مثال ذلك : قولنا - في المجرد: الضرب ، وهو مصدر للفعل ضرب، وكلاهما مؤدٍّ معني الحدث فقط، أما اضطراب؛ فهو مصدر للثلاثي المزيد، اضطراب، وهو مؤدٍّ لمعني الحدث، والزيادة من الضرب والتخبُّط معًا .(1)

وفي المصدر تتغلب صيغته علي المعني، فإن كان مصدرًا سليمًا غير معتل ازدادت قوته في التأكيد علي المعني ، والاحتياط للقصد، بخلاف ما إذا أصابه اعتلال، فضعفت قوته الحجاجية، واحتاج إلي دعامات لفظية من أمثلة السوابق واللواحق، أو إرجاع المعتل إلي أصله، أو التعويض، وغير ذلك من التصرفات التى ينتخبها الذوق العربي والحس اللغوي، وتؤيدها طبيعة الاستلزام الحواري بين مؤلف النص ومتلقيه.

إذ إن الإفادة الكلامية - فى الطرح التداولى- تقوم على التحديد الدقيق للقوالب الكلامية، وانتخابها من بين اختيارات متعددة، تتفاوت فى قوة القيمة الدلالية أو ضعفها؛ وفق ما يتطلبه سياق التناقش، والتواصل، وكأن تأكيد القصد صار مسئولية على مؤلف النص؛ فلا يُقحم خطابه بأفعال كلامية حشوية ،مما يُعدُّ لغوًا ، لا يُضيف معنى جديدًا أو نوعيًّا إلى محددات القصد، لذا يُشكِّل المصدر بقالبه القوى هُويَّةً للقصد؛ إضافة إلى كونه جامعًا للمحتوى القضوى الذى تحمله الرموز والإشاريات، فيكون سببًا مباشرًا لإقناع المتكلم، ودفعه إلى قبول القصد، والتفاعل معه .(2)

ومبعث القوة في المصادر، وفي قدرتها علي الاحتياط لمعانيها، إنما يتمثل في ديناميتها وعدم جمودها ، فهي ترتكز إلي مادة ثلاثية أو غير ثلاثية، ثم تتوالد من خلال تغير الحركات والأبنية قوالب أخري عديدة ، لكل منها معني خاص، يقترب من المعني الآخر، بيد أنه لا يطابقه ، كما أن المصادر– غالبًا – ما تكون خبرًا عن ذات، نحو قولنا : المُلْكُ عَدْلٌ ؛ فقد وقع المصدر– هنا- خبرًا من الأخبار.

ت): 31

(1) انظر: العربية لغة العلوم والتقنية ، د : عبد الصبور شاهين : 208

(2) انظر: دراســة الخطاب الحجاجى من منظور الجدل التداولى ، د : أحمد عبد الحميد عبد الحميد ، مجلة عالم الفكر، العدد: 182 ، أبريل - يونيو ، 2020م ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت : 47- 51

ويكون إيراد قالب المصدر الصريح من جانب مؤلف الكلام تصرفًا مقصودًا فى هيئة القوالب، أو فى العناصر الكلامية التركيبية المترابطة بالعلاقات المختلفة، أو ترتبها، دفعًا للتوهُّم؛ من اختلاط الدلالات المتواترة ، والتى قد تتوافق والمخزون الدماغى والنفسى من أفق انتظار المتلقى(طاقة التلقى)، فيتمحور دور القوالب المصدرية فى التركيز على القصد المراد، فتقتحم دلالة تلك القوالب ذهن المتلقى، بعيدًا عن التخيلات الدلالية ، التى قد يؤدى السياق دورًا فى نقلها من المعنى اللغوى للقالب، إلى الدلالات المجازية أو الرمزية ؛ فيصبح المصدر سببًا فى إبانة فائدة ، التى تكمن فى تأكيد معنى الفعل، نحو: قُمْتُ القِيَامَ.([1])

فعندما تتغير حركاتها حروفها أو تسكن، تتشكل صيغ جديدة ، لتحمل معاني جديدة، بسيطة أو مكثفة ، يقينية أو محتملة، وهذا سنة من سنن العربية حيث إنَّ العربَ قد كَرِهَت تَكرِير اللفظ الواحد بذات الصورة ؛ ، فصيَّرت اللفظَ الأخيرَ على صورة تقترب من أو تبتعد عن اللفظ الأول، لكنها تؤكد معنياه، وتهدف ما وراء ذلك هدفًا دلاليًّا، أو بُعدًا تفاوضيًّا، وهو لا يخلو من أحد وجهين، أحدهما: لا يكون ما ذكره مؤلف النص من باب التكرير لقالب لغوي فحسب؛ والآخر: أن يكون على معنى التأكيد، كأنَّ القائل إذا قال: ضربْتُ ضَرْبًا، أراد به: ضَرَبْتُ حَقًّا.(2)

ومن هنا جاءت قوة أخرى للمصدر؛ لأن نسبة الحدث فيه أظهر من نسبته في غيره من القوالب اللغوية .(3) إذ يُعد الاحتياط للمعني من خلال بنية المصدر من وسائل توصيل المعني إلي متلقيه. ذلك المعنى يكمن قصد المؤلف ، الذى كان له القول الفصل فى انتخاب القوالب اللغوية، وصياغتها، ووضْعها فى هيئة مخصوصة، حسب ما دفعت إلى ذلك نفس المؤلف وذهنيته، وقد يحتاط له المؤلف ، ليمكِّنه لدى المتلقى؛ وكلما أراد معنى مغايرًا، أعاد عمليات الانتخاب، والصياغة، والترتيب، وهو – فى محاولته تأكيد معناه – يقوم بعمليات التباديل والتوافيق، فى تصارُع معجمى، ودلالى، وتداولى، وجمالى بين الدوال ومدلولاتها النوعية والموسعة ؛ حتى يكون عناصر المعنى، ومحدداته؛ حيث

([1]) انظر: الاتســـاع (دراســـة تحليلية) د : ســـهير أحمد محمد أحمد، مجلة كلية الآداب بســـوهاج، العدد(26)، الجزء الأول، مارس 2003م: 181

(2) انظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، أبو القاسم بن محمد بن سعيد، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق ، ط1، 2004م، :60.

(3) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار الطلائع، القاهرة، 2004م : 393

يصرُّ على إبلاغ متلقيه حالة نوعية ما، أو إيصاله بلاغًا ما ، ونقل ذلك – فى هيئة لفظية وتركيبية- إلى متلقيه ، دافعًا إيَّاها إلى التفاعل والمتابعة.

أبو الطيب المتنبى(ت 354هـ):

يقر الباحث بأنه أمام درس لشاعر فريد فى كل ما يتصل به، فهو الأشهر من أن يُعرَّف، فقد كان فريدًا فى سبب موته[1] وعاش حياة التناقض، فمدح وهجا، وذاع صيته وتكسب، حتى أكل فى أطباق من ذهب ، ملك زمام اللغة ، وأدرك أساليبها الرفيعة والتى تكون على قدر النوع، والموقع، والفئة، والقصد، والمعيارية النحوية ، كان بيته الشعرى يرفع أقوامًا، ويخفض آخرين، عايش القادة والملوك والسلاطين، قربوه أحيانًا[2]، وطردوه أخرى، تنقلت نفسه بين نفوس النبلاء والعبيد ، حتى عاب الناس[3]، ولامهم .[4]

فجاءت قوالبه اللفظية وعناصره التركيبية كاشفة لما قصد إلى إضماره أو جاءت بوصفها ردة فعل لتأثره بكل ما يُحيط بها من أشخاص وأشياء، إذ إن الاحتياط للمعنى لم يكن بالعمل الاعتباطى، ولا التصرف العبثى، لذا فقد استثمر أبو الطيب الدلالة المعجمية والتركيبية والمقطعية المشكِّلة لعناصر قالب المصدر الصريح، مستندًا - فى ذلك- إلى أن كل اختلاف فى صورة القالب اللفظى يتبعه اختلاف فى المعنى الذى يحمله، ويعبِّر عنه .

ويُشير الباحث إلى أن أبا الطيب المتنبِّى يشكِّل حالة نفسية خاصة، اتخذتْ من القوالب اللغوية قناعًا نفسيًّا وسبيلًا ضاغطة ؛ لإذاعة نرجسيتها ، و إبراز غطرستها، فى ترفع وكبرياء واضحين، وقد أدارت منجزها الشعرى، فى ضوء من محددات علم النفس العميق؛ بعيدًا عن تسطيح المعنى أو توقف الانفتاح الدلالى عند حدِّ المعانى الممكنة، فى قصدية تامة لكلِّ ما يقوم به، وهو يدرك أن القالب اللغوى، مستقلًّا كان أم غير مستقل يصلح لأن يعكس علاقة Relation بين المؤلف أو المتلقى أو تكون عملية Process تعبيرية،

---

(1) شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : ب من المقدمة.

(2) شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 1

(3) انظر: البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة ، 2009م : 38، و انظر: أمثال المتنبى وحياته ، بين الألم والأمل ، وقطع مختارة من شعر المتنبى ، أحمد سعيد البغدادى ، ط1 ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، 1351هـ /1932م : 5 – 27 (بتصرف).

(4) ديوان أبى الطيب المتنبى : ط من المقدمة .

تجعل المعنى حدثًا ، يقتضى البوح به ، بصورة تتعالق فيها المعانى التى تعكسها القوالب اللغوية ، والعلاقات التصويرية بين عناصر الكلام.([1])

يتضمن كلام النقاد ودارسى الأدب أنهم يكادون يُجمعون على أن أبا الطيب المتنبى يشكل مدرسة تعبيرية، لفتت - وما تزال – تلفت أنظار الدارسين من اللغويين، والأدباء، والنقاد، لعمق الفكرة داخل الصيغ التعبيرية التى يستخدمها، وتنوع وسائل التعبير عنها، فتارة يكون واضحًا ، بيد أنك سريعًا ما تجده غامضًا ، مما جعل أبا الطيب المتنبى مجالًا خصبًا -فيما يتصل المعطيات التفسيرية- لا ينضب ، بل يزداد عطاءً مع استكشاف العديد من الطروح اللغوية الجديدة، على امتداد العصور، بين الأصالة والحداثة.

ومما يجعل أبا الطيب مجال درس وتجدد أنه كان متقلبًا فى حياته، بين البؤس والسَّعة، كان كثيرًا ما ينقم على الناس ويحتقرهم، ولعل الباعث إلى ذلك هو شخصية المتنبى ذاته، الذى كان لا يعبأ – كثيرًا- بمتلقيه؛ فلا يُراعى أفق انتظاره؛ أو يكون راغبًا فى إبراز تعاليه على بعض من يخاطبهم، فيغلق المعانى، أو يعمد إلى إغماض دلالته، أو يستفز أفق انتظارهم، من خلال الإلماح إلى ما يوهم المتلقين بتوقع غير المتوقع، أو غير ذلك من طرائق الاستثارة اللفظية، كأن يستفتح قصائده بالغريب، أو غير المستعمل، طلبًا لتحقيق حيرتهم، أو إبراز تميُّزَه عنهم، فيعوز المتلقى مفسرًا لقوالبه وتراكيبه ، واحتمالاته الدلالية، وهو شاعر انتقل من حالات اليأس حتى انتقل بين الممالك، وقد أودى به – جراء تناقضاته- بيت من شعره، كما تزعم الروايات. ([2])

من هذا المنطلق يصحُّ القول بأن أبا الطيب المتنبى كان مرآة مقعرة لذاته، ولواقعه وعصره؛ فقد استطاع أن يجمع فى قوالبه الشعرية بين الذات والسياق The Context النفسى والمجتمعى، بوصفه البيئة المحيطة بالوحدة الكلامية فى التركيب الخطابى([3]) فى خُصوصية تجمع بين دقة الانتخاب للقوالب اللفظية – الاستبدال Paradigmatic فكان حريصًا على تحقيق الجمال التركيبى، والغموض الفنى؛ فأحيانًا

([1]) انظر: تشكيل المعنى الشعرى ونماذج من القديم ، عبد القادر الربَّاعى ، مجلة فصول ، (تراثنا الشعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، يناير/فبراير/ مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة :55

([2]) شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : ب من المقدمة.

([3]) انظر: نظرية القوالب ، من نظريات علم اللغة الحديث ، د : حازم على كمال الدين ، (د.ط) ، مكتبة الآداب، (د . ت) : 33

يتكلم لغة مجتمعه ،وأخرى ينتخب قوالب ذاتية، ليست لغيره، مما يُمكن معه أن نطلق عليه ما يسمى : اللغة النفسية ذات الخصوصية الفردية ، أو الكلام النفسى للذات.

وهنا – تحديدًا - ينبغى وضع كلِّ كلمة من قوالب أبى الطيب تحت مجهر المعطيات اللغوية، والنقدية، والجمالية ، وكأن الانتخاب اللغوى- لديه - صار أصلًا لكثير من النظريات فى المجالات السابقة؛ إذا سلمنا بمراوغة الكلمة بل التركيب عنده، مثل ما اتُّصف به شاعرنا من مراوغات نفسية، سياسية، ومذهبية، وخلقية، ومعتقدية، وما أثير حوله من وجهات متباينة، جعلت منه مثار تعجب لدى كثير من بنى عصره والخالفين له.

وبعـدُ ؛ فقد آن للباحث أن يُدلل على ما أطَّرله نظريًّا، وأن يسوق نماذج تطبيقية؛ يُدلل - من خلال رصد بعضها وتحليلها تحليلاً صرفيًّا ودلاليًّا – على ما افترضه من أن قالب المصدر يعد من أنجع الطرائق الصرفية التى احتاط بها المتنبى لمعناه، وأن يُجيب عن تساؤلات البحث حول الأسباب وراء تكثيف المتنبى من قالب المصدر الصريح، راغبًا فى الاحتياط لمعناه.

الفصل الثانى:

الجانب التطبيقى للبحث [1]، ويتأتى ذلك فى محورين ، هما :

المحور الأول : الاحتياط الصرفى للمعنى بقالب المصادر الثلاثية فى شعر المتنبى .

المحور الثانى : الاحتياط الصرفى للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية فى شعر المتنبى.

ويُمكن معالجة هذا الأمر على النحو الآتى:

المحور الأول: الاحتياط الصرفى للمعنى بقالب المصادر الثلاثية[2] فى شعر المتنبى.

1.مدخل تمهيدى:

(1) من المفيد الإشارة إلى أن أبنية المصادر وأوزانها الصرفية تختلف إلي عدة صيغ ؛ منها المقيس ، ومنها المسموع، ومنها الموضوع للتدريب من قِبَل العلماء ، أو جاء عن طريق الآحاد ، أو خالف سنن العربية ؛ وهذه المصادر تنقسم إلي ثلاثية ، ورباعية، قياسية، وسماعية. وجميعها استثمرها أبو الطيب المتنبى فى الاحتياط لمعناه .

(2) حرى بالباحث أن يُشير إلى أن قالب المصدر الصريح جاء بصورة مكثفة ومتنوعة بنوعيه الثلاثى وغير الثلاثى، فى شعر أبى الطيب المتنبى ، بيد أن الباحث قد اقتصر على بعض صور المصدر الصريح استشهادًا ؛ خشية الإطناب ، والتكرير، والإطالة.

ذكر سيبويه أمثلة عديدة لمصادر الفعل الثلاثي المجرد، في باب: هذا بناء الأفعال التى هي أعمال تعدَّاك إلي غيرك، وتوقعها به ومصادرها، وذكر فيه أنماطًا عديد لأوزان المصدر الثلاثي المجرد، فجعل منها: فَعَل، يفعَل، وفعَل، يفعُل، وفعَل، يفعِل، وجعل مصادرها : فعْل، بسكون العين، نحو: قتَل، يقتُل، قتْلًا، وضرَب، يضرِبُ ، ضرْبًا ، ولحَسَ، يلْحَس ، لحْسًا ، وأشار إلي أن منها فُعول ، كـ: لزِم ، لُزوم، ومنها: فَعَل ، فَعَل ، وفَعِلٍ ، ومنها: فُعْلٍ، نحو: شرب، شُرْبًا .(1)

كما أنه من المقرر - لدى اللغويين- أن قالب المصدر من الفعل الثلاثى المجرد سماعى، غير محصور ولا محدد بضابط معيارى، وجعل ابن مالك(ت672هـ) منه : فَعِلة، وفَعِيلة، وفُعُولة، وفُعُولِيَّة، وفَيْعُولِيَّة، وفَيْعُولة، وفُعْلِّية، وفَعَالية، وفُعْلَل، وفَعَلى، وفَعْلاء، وفُعَلاء، وفِعَلاء، ومَفْعُولاء، وفِعِّيلى، وفِعِّيلاء، و إفْعِيلَى، و إفْعِيلاء، وفُعُلَّة، وفُعُلَى، وفِعَلَّى، وفعلوت، وفُعْلَية، وفَعَالَّة، وفِعِلَّان، وفَعُول، وتَفْعِلَة، وتَفْعُلَة، ومَفْعَل، مثلث العين مجردًا ، وبالتاء، ومفعول، ومفعولة، وفاعل، وفاعلة .(2)

وقد جعله الملك المؤيد(ت732هـ) اثنين وثلاثين وزنًا صرفيًّا، هى: فَعْل؛ كحَمْد، وفِعْل، كعِلْم، وفُعْل ، كـ:شُكْر؛ وفَعْلَة ، كرَحْمَة ، وفِعْلَة ، كحِمْيَة ، وفُعْلَة ، كعُجْمَة ، وفَعْلَى ، بفتح الفاء ، كدَعْوَى، وفِعْلَى ، بكسرها ، كذِكْرَى ، وفُعْلَى، كبُشْرَى؛ وفَعْلَان ، بالفتح ، كلَبَان ؛ وفِعْلَان ، كرِضْوَان، وفُعْلَان، كغُفْرَان، وفَعَلَان، كغَلَيَان ، وفَعَل، كغَضَب، وفَعِل، كلَعِب، وفِعَل، كشِبَع، وفُعَل، كهُدَى، وفَعَلَة، كغَلَبَة، وفَعِلَة، كسَرِقَة، وفَعَال، كسَمَاع؛ وفِعَال، كإِيَاب، وفُعَال، كنُعَاس، وهو كثير فى الأصوات، كصُرَاخ، وفَعَالَة، كجَهَالَة، وفِعَالَة، كحِمَايَة، وفُعُول ، كقُعُود، وفَعُول، كقَبُول، وفَعِيل، كصَهِيل؛ وفُعُولَة، كسُهُولَة، ومَفْعَل، بفتح الميم والعين؛ كمَدْخَل، ومَفْعِل، بفتح الميم وكسر العين، كمَرْجِع، ومَفْعَلَة، كـ: مَرْحَمَة، ومَفْعِلَة، كـ: مَعْصِيَة، وفَعَّالِيَة ، كـ: طَوَاعِيَة، وكَرَاهِيَة؛ وفُعَالَة، بضم الفاء، كـ: بُغَايَة، وتِفْعَال، بكسر التاء؛ كـ: تِبْيَان، وتِلْقَاء.(3)

وينبغى الإشارة إلى أن عناية المؤلف ليست مقتصرة على المحتوى القضوى من

---

(1) انظر: الكتاب : ج4 : 5- 25

(2) انظر: شرح التسهيل، المسمى: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، جمال الدين، محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائى الأندلسى (ت672هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحى السيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ج3 : 323

(3) انظر: الكُنَّاش فى النحو والصرف : 186 - 187

خطابه، بل تتجاوز ذلك إلى أنه يجعل من خطابه عناصر تداوليه تُجيب على تساؤل : ماذا نصنع حين نتكلم؟. وماذا نقول ؟. ومن يتكلم؟ ومع من يتكلم؟. ولأجل ماذا ؟. ولأجل من؟. وما واجبات مستخدم النص، ليُزيل الإبهام عن القوالب الكلامية؟. وما هى معايير التفسير والتقبل؟. هل كان من الممكن الاستعاضة عن القوالب المستخدمة بقوالب لفظية أو تركيبية أخرى، وهل كانت ستؤدى وظيفة تداولية وتواصلية؟. هل من الأنجع التسليم بالمعنى الحرفى للقوالب اللغوية، والإشارية، والسياقية أم نُخضع اصطياد المتلقى للقصد المركزى لمحددات الميتالغة، أو الدلائل الرمزية أو النظر إلى تفسير المعنى وتوجيهه على ضوء الاستعمال والمواضعة؟.[1] ويُمكن درس هذا المحور في النقاط التالية:

أولًا- ما أورده الشاعر احتياطًا للمعنى بقالب المصدر (فَعَالَة)، بفتح الفاء والعين[2]:

نحو قوله :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْآَمَالِ مِنْ أَرَبِي	وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي.(3)

فالمتنبي – في هذا الموضع- يفخر بنفسه، وما يتحلَّى به من عدم الارتكان إلي التبريرات، أو الحاجة إليها، ويُشير إلي أنه لا حاجة به إلي هذا التعلل، ويؤكِّد ذلك فقدَّم سابقة النفي الفعلية والحرفية، والتى تصدرت الشطرين، الأول والثاني، بل إنه يُشير إلي أن طموحه لا حدَّ له، ولا قيد. محاولًا حصر ذهن المتلقى حول ثبوت صفة القناعة فيه ، وأنها ليست بالأمر العارض.

فليس من خصاله القناعة بالقليل، إنما هو توَّاق إلي المزيد من كل شيء، ليُرضي نرجسيته وذاتيته؛ فهو ليس بالمتراخي، ولا بالذي يرضي الفقر والحاجة، وقد اختار المصدر فَعَالة، بفتح الفاء والعين؛ ليدل علي تجذر هذه الصفات في نفسه، وأنها من سجاياه، وصفاته الخلقية، ليحتاط من أن يقع في ذهنية المتلقي غير ذلك؛ حيث إن صيغة فَعالة: تدل علي الثابت من الصفات والخصال.

([1]) انظر: التحليل التداولى للغة (المنهج والتطبيق) : 46

(2) وهو مصدر يدل علي الخصال وصفات الأشياء ، وقد تكون زيادة التاء المربوطة فيه عوضًا عن حرف محذوف ، أو عوضًا عن إماتة الحركة في المعتل ، وتكون فَعالة للمبالغة . انظر: الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفي 285هجرية ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته ، (د. ط)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ، ج1: 107

(3) البيت من قصيدة للمتنبى يمدح فيها سيف الدولة ، من بحر البسيط ، انظر: ديوان المتنبي ، لأبي الطيب المتنبي ، تحقيق ، لجنة التأليف والترجمة ، صححها ، وقارن نسخها ، وتعليقاتها ، د : عبد الوهاب عزام ، تنسيق و فهرسة ، د : الشويحي ، نسخة : pdf : 31

وذكر أبو البقاء العكبري أن : التعلل : ترجية الوقت بالشيء اليسير بعد الشيء؛ يقال: فلان يتعلل بكذا ، أى : يمضي به وقته ودهره؛ والإقلال : الفقر والحاجة ، يُقال : أقل: إذا صار إلي حالة قلة الوجود للشيء ، وهو ضد الإكثار. (1) والمعني ، يقول أبو الطيب المتنبى : " ليس من عادتي أن أترجي بالأمل، بل أُدافع الوقت بالشيء اليسير؛ يُريد: أنه يطلب الكثير، ويُسافر في طلب الماء ، كقول أبي الأسود الدؤلي :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي	وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ.(2)

لذا فقد أجاد حين أورد المصدر الثلاثي (قناعة) على وزن فَعَالَة، وفعله: (قَنَعَ) ثلاثي مجرد، وهو مصدر ثلاثي دال علي الشدة، والجرأة ، والتمكن، وعدم الارتكان ، فاحتاط لهذا المعنى ، وهو ديمومة قناعته ، حتى إنها بمثابة الطبع فيه، وثباتها فيه ؛ احتراسًا من أن يصل مدلول الجشع أو التطلع الممقوت إلى ذهنية المتلقى ؛ وأن تلك القناعة عارضة، و أنه قليل ما يقنع، وقد أراد أن يُخبر عن اتصافه بالقناعة ، بصورة تكاد تكون خصلة ثابتة فيه ، إذ القناعة من الأفعال الثابتة ؛ كالجَراءة ، والرَّداءة ، والجَهالة.(3)

وقد أراد المتنبي أن يحتاط لمعناه ، فأضفي نوعًا من الجدية علي قوالبه ، إذ إن (فعالة) للثابت من المعانى ، فكأنها تدل على التقرير والثبوت ، وفى هذا المعنى يقول ابن مالك: "والغالب : أن يُعْنى بفَعَالَة ، وفُعُولَة المعاني الثابِتَة ؛ كالفَطَانة ، والبَلادة ، والجراءة ، والرداءة واللبابة ، والجهالة ، والظرافة ، والنجابة ، والبراعة والرَّهافة ، وبفُعُولة ، كـ" السهولة ، والصعوبة ، والرطوبة ،واليبوسة ، والعذوبة ، والملوحة والرعونة ،والخشونة ".(4) وهذا الانتخاب للمصدر فعالة احتياط به المتنبي عن أن يظن المتلقي به اضطرابًا ، أو اكتسابًا لهذه الصفة .

حيث إن القصد المركزى - الذى أراده المتنبى- لم تستطع التراكيب اللغوية – من غير المصادر الثلاثية- أن تعبِّر عنه، فكثَّف من القوالب المصدرية ، نحو: التعلل، والقناعة، والإقلال، فقد نجحت هذه الصيغ المصدرية فى تدفق الدلالة، فقرَّبت تفسيرات استعان بها المتلقى فى إدراك هذا القصد. فالمتنبي - في هذا البيت - سعى لتمكين

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمي : بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه ، مصطفي السقا ، و إبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ؛ دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج4: 39

(2) والبيت من بحر الوافر، انظر: شرح ديوان المتنبي ، 4 : 39

(3) انظر: الكتاب ، ج4 : 11

(4) شرح التسهيل ، ج3 : 324

فخره بشخصِه وذاته، وما يتحلي بالصفات الخُلُقِيَّة، والعقلية والنفسية.

وخصَّ صفة التعلل في الشطر الأول، ثم ثني بصفة القناعة في الشطر الثاني ، ليقوي العلاقة بين الصفتين، نفي التعلل، ونفي القناعة، ليحتاط لمعناه ، كأنه يقول : أن لا أتعلل بالآمال، وليس من خصالي القناعة ، ليدل علي قوة شخصه، وحالة التفرد والثورة اللتين تملآن نفسه وعقله . ولإظهار قوة هذه الصفات والخصال فيه ، وليُمكنها في نفس متلقيه؛ حتي يقنع أنها سجية لديه، فجاء بالمصدر على وزن (فَعَالَة)، ولم يأت بالصفة (قَنِع) على وزن (فَعِل)؛ احتياطًا لمعنى قوة عقله، ورجاحته، واعتداده بنفسه ، وأن هذه الخصال هي سجايا لديه ، ونظير ذلك : قوله :

جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَي	عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ .(1)

أورد أبو الطيب المتنبى فى الشطر الأول من البيت الثانى قالب المصدر الثلاثى (الصَّبَابَة) ليحتاط به لمعنى التعلق، وتمكن العشق من قلب الشاعر، فصار كالوله الصب العاشق، وتجنب انتقاص ذهنية المتلقى من مقدار حبه وتعلقه بمن أحب؛ يقول أبو البقاء :" الجَهد، بالفتح : المشقة، وبالضم : الطاقة، وقيل: هما لغتان بمعنى، والصبابة: رقة الشوق، يقول: جهد الصبابة أن تكون كرؤيتى، وفسَّرها فى باقى البيت؛ بما ذكر من حاله".[2] الشاعر يُريد أن يصف حالته من العشق والوله والأرق، وخفقان القلب؛ و أنه دائم العشق لمن يُحب، فجاء المصدر(الصبابة) ليؤكد تمكن العشق من نفسه، حتى إنه سلب نومه، هدوء قلبه، فاحترس به على اللبس من قبل المتلقى، فقد يظن أنه غير عاشق، أو أن الحب لم يملك عليه ظاهرة وباطنه. ونحوًا من ذلك قوله :

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسِّيَاطِ جَهَالَةً	فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا .[3]

فى الشطر الثانى من البيت الثالث يستخدم المتنبى المصدر الثلاثى(جهالة) ليحتاط لمعنى الخوف الذى لحق خيل الروم؛ وثبوت جهالاتهم، والمبالغة في الاتصاف بها؛ حين

(1) البيت من قصيدة لأبى الطيب ، من بحر الكامل ، قالها فى صباه ، يمدح فيها أبا المنتصر، شجاع بن محمد بن أوس بن الرضاء الأزدى ، وهى من الكامل ، والقافية من المتدارك ، انظر: الديوان : 20

(2) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج2 : 332

(3) البيت من قصيدة للمتنبى، يمدح بها سيف الدولة، وكان قد توقف عن الغزو؛ لما سمع بكثرة عدد جيش الروم؛ فأنشده بحضرة الجيش، والضمير فى (بها) يعود إلى السياط، من الطويل، والقافية من المتو اتر.انظر: ديوان أبى الطيب المتنبى، بشرح أبى البقاء العكبرى، ج4 :165

رأت خيلًا لسيف الدولة، فظنوهم رومًا؛ فأقبلوا نحوهم مسترسلين؛ فلما تحققوا الأمر، ولُّوا هاربين ، يقول العكبرى: " ولهذا قال: جهالة، وقال: إلينا وعنًّا.(1) يفهم من الكلام السابق إصرار أبى الطيب على تكثيف معنى الخوف الذى لحق الروم، حتى إن هذا الخوف قد كان سببًا فى ضياع بصرهم، فظنوا عن جهل أن الذى يرونه هم خيل الروم، فلما اقتربوا كُشف جهلهم بهيئة خيل العرب، ويُلمح معنى السخرية والاستهزاء من سياق الإلقاء.

نرى أن المتنبى – فى إيراده الصيغة المصدرية(الصّابة) و(الجَهَالة)- قد واءم بين الصورة البصرية للقالب اللفظى، والقيمة الدلالية المستعملة؛ مستثمرًا معونة السياق الدال، الذى يُحيط بالمعنى، فقد عبَّر- باستخدام الصيغة المصدرية الصبابة، والتى تدل على الشوق الشديد- عن تلك العين المسهدة، وذلك القلب الذى لا يكفُّ عن الخفقان، إذ وفرت له تلك الصيغة اللغوية بدائل دلالية، ناسبت قصده، ودقة انتخابه، وحسن الاستعمال، وكأنه قد قصد المعنى الحرفى(الدلالة المباشرة) لكلمة الصَّبَابَة، ثم أردف يفصِّل ما حملته إجمالًا.

وهذا التأويل يتناسب مع أبعاد الطرح التداولى، حيث لا يكون تركيز الطرح التداولى منصبًا على ما يقوله الناس، ولكن تركز التداولية على كيف يقولونه، وكيف يفسِّر الآخرون أقوالهم فى السياقات الاجتماعية؛ ويُقصد بذلك تلك السلاسل الصوتية التى نصنعها عندما نتحدث، ونشكل منها معانى سطحية وأخرى مضمنة عميقة، ونخرج من أنفسنا وجهازنا الصوتى مجموعة من العلامات التى تصاحب الأقوال، وتشكل جميعًا عناصر المعنى المُراد إبلاغه.(2)

يفسِّر هذا الأمر أن احتياط المتنبى لمعنى المبالغة فى وصفهم بالجهل، وتكثير تلك الصفة لديهم قد جعله ينتخب بنية صرفية مصدرية ، من دون أخرى، أو أن ينقل بنية من هيئة إلى هيئة ثانية؛ فتتحول دلالتها إلى أخرى؛ وكأنه يُدرك مفارقة الصورة البصرية للقالب فى نسبة الخبر، ومدى إحاطتها به؛ فلكل قالب صورة نوعية، ودلالة معينة، أو معنى نوعى يحمله، ويُشير إليه، مما يُحقق له غرضًا من أغراض الحياة .(3)

---

(1) انظر: ديوان أبى الطيب المتنبى ، بشرح أبى البقاء العكبرى ، ج4 :165

(2) انظر: التداولية ، مقاصد وآداب ، د : صبرى إبراهيم السيد ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1440هـ/2019م : 5

(3) انظر: التشابه اللفظى فى القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، د : عاطف حسن عبد اللاه عبد

وقد ألمح ابن جنى إلى أن فى إلحاق التاء المربوطة بالمصادر نكتة دلالية، فذكر أن " الهاء فى نحو : رجلٌ نسَّابة، وامرأة نسَّابة، ونحو : رجل علَّامة، وامرأة علَّامة؛ لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هى فيه، و إنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هى فيه قد بلغ الغاية، والنهاية فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة ".([1]) فقد ألحق التاء الزائدة فى نهاية البنية ليدل على التكثير والمبالغة، هذا التصرف من سنن العربية، فتأتى التاء الزائدة لتكثِّف المعنى الموجود فى القالب اللغوى.

بالإضافة إلى ذلك فقد صرَّح الزمخشرى(ت538هـ)بأن فى التاء المربوطة دلالةً على التخصيص وتقييد الدلالة ، قال فى الكشاف:" فإن قلت: لمَ قال : " ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ".([2]) ، ولم يقُلْ : ضلال ، كما قالوا ؟ . قلتُ : الضلالة أخصُّ من الضلال، فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه ؛ كأنه قال : ليس بى شىءٌ من الضلال، كما لو قيل لك : ألك تمرٌ؟. قلتَ : ما لى تمرة ".([3]) وكأن التاء المربوطة ميَّزت بين معنى وآخر، وأمدت المتلقى بما يجعله يميِّز الفوارق الدلالية.

ثانيًا- ما جاء على زنة (فِعَالَة)، بكسر الفاء، وفتح العين، نحو: قولُه:

أبْنَاءَ عمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لِامْرِئٍ	إِلَّا السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ. (4)

الشاعر – هنا- يُفاخر بقومه ، وبما يمتلكون من سجاياه ودلائل نبل، فهم متسامحون، يغفرون كل ذنب ، فيما بينهم، إلَّا أن يكون بينهم ساع بفعل السعاية بالنميمة، أوسىء الأخلاق، فإنهم يتجنبون هذا، من دون غفران ، وذكر المصدر(السعاية) حين أراد المبالغة فى التشنيع بما تحمله سمة السعاية بين الناس من لوم ؛ فكان المصدر إمام المعنى. فاحتاط بالاستثناء والمصدر (السعاية) ليدل على قبح دلالتها، وسوء من يتصف بها، فهى ذنب لا يغفره قومه، يقول أبو البقاء : يريد الشاعر أن يقول : " كل من أذنبت إليهم ذنبًا ؛ فإنهم يغتفرون له ذلك الذنب، إلَّا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة

الواحد، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس /2016م : 61 ، و انظر: علم الدلالة المقارن : 153

([1]) الخصائص ، ج2: 134

([2]) سورة الأعراف ، 61/7

([3]) الكشاف ، ج2 : 28

(4) حين سألوه أن ينفى الشماتة عنهم، من الكامل، انظر: الديوان: 67، 96 -97، و انظر: شرح ديوان المتنبى، للعكبرى ، ج2: 283

والإفساد".([1])

فهو يُريد أن يُبرز غفران أهله، و أبناء عمومته لكل ما اقترفه الآخرون فى حقهم، ثم احتاط بالمصدر، فجاء أبو الطيّب المتنبِّي بالمصدر (سِعَايَة)، وهو على زنة (فِعَالَة) من الفعل الثلاثي المعتل الناقص (سَعَى ، يَسْعَى)، احترازًا من فهم المتلقى أنهم يغفرون جميع الذنوب، فجاء بالمصدر ليخرجه من دائرة ما يغفرونه ، فاحتاط لذلك بكلمة (السعاية).

فقد احتاط الشاعر للمعنى، فأتى بقالب المصدر على (فِعَالَة)؛ لأن هذا المصدر يدل على الصناعة أو الحِرفة، أو السمة التى تلتصق بالبشر، فجاء بالمصدر (السعاية) ويُشير القالب المصدرى (السعاية) إلى معنى السعى، والنشاط، والتيقظ، والإصرار على الفعل، والهياج، لأنها قارب الصِّراف فى الشتاء فى دلالتها. ([2])

وهذا ما احتاط منه الشاعر، بأن أورد تصرف الاستثناء، بالإضافة إلى أنه قد جاء بالسعاية ليدل على انتهاء فعلها، وخروجها من دائرة أفق انتظار المتلقى، وفى هذا المعنى يقول سيبويه : " وقالوا: التِّجارة ، والخِياطة ، والقِصابة، وإنما أرادوا أن يُخبِروا بالصَّنعة التي يَلِيها، فصار بمنزلة الوكالة، وكذلك السِّعاية؛ إنما أخبر بولايته، كأنه جعله الأمر الذى يقوم به".(3) واختار ابن مالك التعبير بالحرفة بدلًا من الصنعة ، قال: " وقصد الحرَف بفِعَالة، وذكر بعضًا من أمثلة سيبويه، وزاد: والنِّساجة، والحِيَاكة، والصناعة، والحراثة، والفلاحة، والكتابة، وأشار ما أسماه :أشباته الحِرَف، فقال: نحو الولايات؛ كـ: الإمَارة، والعِرَافة، والوِزَارة، والنِّقابة".([4])

وليس من شك فى أن المجيء بالمصدر الصريح (السِّعاية) على زنة (فِعالة) فيه احتياط للَّبْس المحتمل؛ فجاءت زيادة التاء المربوطة في نهاية المصدر احترازًا من الخلط وسوء الفهم، لأن التاء المربوطة تدل على المبالغة والتكثير فى إيقاع التنفير من دلالة ما استثناه الشاعر، فاحتاط للمعنى بالاستثناء وقالب المصدر الصريح الثلاثى، مع أن السياق كافٍ في منع الالتباس.(5)

([1]) شرح ديوان المتنبى ، ج2 : (107) : 135

([2]) انظر: الكتاب ، ج4 : 11

(3) الكتاب : ج11/4

([4]) انظر: شرح التسهيل ، ج3 : 324

(5) انظر: دراسات في الصرف والمصطلح اللغوي، الروابدة، محمد أمين أحمد، مكتبة الرشد، الأحساء، ط1، 2014م: 49

ثالثًا- ما جاء على زنة: (فُعَال): بضم الفاء، وفتح العين: نحو : قوله عن رجل بلَّغه عن قومه كلامًا :

أَنَا عَيْنُ المُسَوَّدِ([1]) الجَحْجَاجِ	هَيَّجَتْنِي كِلَابُكُمْ بِالنُّبَاحِ .(2)

يُشير سيبويه إلى أن من المصادر ما يجيء على فُعَال؛ بضم الفاء وفتح العين، ويُفهم مما ساقه من أمثلة أنها تقع بين الدلالية على معانى الداء، والإشارة إلى المعانى النفسية، وذكر قولهم : نَعَسَ، نُعَاسًا، وعَطَسَ، عُطَاسًا، ومَزَح، مُزَاحًا، وأشار إلى أن هذا المصدر يرد حين يُريد المؤلف الفعل، فإن قلت : مُزاح ، فقد قصدت فعل المزاح برمته ، بيد أنه نبَّه إلى أنه قد تكون للصوت؛ نحو: الصُّرَاخ ، والنُّباح، لأن الصوت قد تكلَّف فيه من نفسه ما تكلف من نفسه فى النَّزوان ونحوه".([3])

يقول أبو البقاء العكبرى : " يريد : أثارتنى سفهاؤكم وأغضبتنى؛ ولما سماهم كلابًا، سمَّى كلامهم نُبَاحًا، ويُروى : هجنتنى، من الهجنة أى : نسبتنى إلى الهجنة ".([4]) الشاعر- فى هذا الموضع - يهجو هؤلاء القوم ، يصفهم بالضعف وقلة الفعل، وأنهم لا يملكون إلَّا الصوت، ومبالغة فى وصفهم بالوضاعة، احتاط لهذا المعنى بأن ذكر صوت الكلاب الصارخة، التى لا تملك إلَّا الصوت، حتى إن مجرد التجرؤ بإصدار فعل النباح، قد أثاره وأغضبه ، فاحتاط بالقالب المصدرى(فُعال) دفعًا للبس، والخلط فى الفهم غير هذا المعنى ؛ حتى لا يَرِد المتلقى غير ما فيهم من الضعف وقلة الفعل .

ويؤيّد ابن مالك القول بأن الصيغة المصدرية فُعَال، تُشير إلى ما يتصل بالعلل والأصوات، يقول :" وكون فُعال للأدواء؛ كالزُّكام، والسُّلاق، والقُباء، والصُّداع، والدُّوار، والظُّهار، والسُّلال، والنُّحاز، والمُشاء, وكونه للأصوات،ك: الرُّغاء، والثُّغاء، والمُواء،

([1]) وهو: الذى جعله الناس مسودًا يسودهم، فهو سيد قومه، والجَحجاح: السيد العظيم، والجمع: الجحاجيح، أو الجحاجح، و أنشد:

ماذا ببدرٍ فالعقنقل من مرازبه جحاجح

قال أبو محمد عبد الله بن برى النحوى، فى ردّه على الجوهرى: بل الجمع: الجحاجيح؛ و إنما حذف الشاعر الياء من الجحاجيح ضرورة . وقال الجوهرى: جمع الجحجاح: جحاجح، وإن شئت جحاجيح، وجحاجحة، والهاء عوض عن الياء المحذوفة، ولابد منها أو من الياء، ويجتمعان.

(2) الديوان: 49

([3]) انظر: الكتاب ، ج4 : 10 - 14

([4]) انظر: شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 242

والعُواء، والخُوار، والجُؤار، والضُّباح، والنُّباح، والنُّعاق، والنُّهاج".([1])

فقد احتاط أبو الطيب المتنبى لمعنى تفاخره، بأنه السيد صاحب السؤدد، وضعة المخاطبين بقالب المصدر الصريح (نُباح)، التى جاءت على زنة (فُعَال)؛ معتمدًا على ما فى هذا المصدر من دلالة على ارتفاع الصوت، وترديده، لأن الصوت تتكثف دلالته، وتعلق بذهن التلقى كلما تكرر، وازداد شدة. لذا كانت قوة المصدر(فُعال) احتياطًا لمعنى تفاخر الشاعر بذاته ، وتمكينًا لمعنى الضعة وقلة الفعل لدى مخاطبيه. ونحو: قوله :

أَعِيدُوا صَبَاحِى فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ	وَرُدُّوا رُقَادِى فَهْوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ.([2])

يُريد الشاعر أن يدل على حيرته وتشتت نفسه، موضحًا سبب ذلك فى تعلقه بالنساء الكواعب، ولحظ الحبائب، مُشيرًا إلى تعلقه بهم، متوددًا إليهم، راجيًا مخاطبيه أن يعيدوا إليه إشراق نفسه، و إقباله على الحياة ، فقد جافاه الرقاد، فاحتاط لرغبته فى أن يظل بين الكواعب والحبائب، فإذا ما كنت بينهم، نعمت بالرقاد العميق.

وقد استثمر أبو الطيب الدلالة النفسية للقالب المصدرى (رُقاد)، بما فيها من حرف مد، يدل على استطالة استحضار مضمون القالب، فكأنه يرجو أمرًا قد فقده، درءًا لأن يفهم المتلقى خلاف تعلقه بالكواعب والحبائب. يقول أبو البقاء : " الكواعب: جمع كاعب، وهى: الجارية التى علا نهدها، والحبائب : جمع حبيبة ، والمعنى، يقول: رُدُّوا الحبائب والكواعب؛ ليرجع صباحى، و أُبصر أمرى، ويرجع نومى إذا نظرت إليهن".([3])

أتى المتنبى فى الشطر الثاني بـ(رُقَادِ) على وزن (فُعَال) مصدرًا للفعل الثلاثي (رَقَدَ)؛ احتياطًا للمعنى ، وتمكينًا لمعنى القلق والأرق والتوتُّر النفسى الذى أصابه جراء عشقه للكواعب، فقد استحال عليه الرقاد عميق ، حيث إنه لا يملكه ، فقد صار ملكًا للكواعب، ورهن الحبائب. وقد جاء في البيت السابق بالمصدر(رُقاد) (فُعال) الذي يدلُّ على الانهزام النفسى، جراء تكلُّفها فى طلب النوم .

من اللافت للنظر أن صيغة (فُعال) صيغة تكاد تكون بنية نفسية، يتحكم فيها سياق التوتر النفسى، فالشاعر يتعايش مع توترين، لا ينفكان يبرحانه، أحدهما مع ذاته، التى تُلح على امتلاك سمات التفرد والنرجسية، والآخر توتره مع عالمه الخارجى من

([1]) شرح التسهيل ، ج3 : 324

([2]) البيت من قصـــيدة لأبى الطيب، قالها يمدح أبا القاســم طاهر بن الحســين العلوى، من الطويل، انظر: الديوان: 209

([3]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 147

السلطان، والخصوم، والأحباب، بالإضافة إلى عوالم الماديات والمحسوسات، وهى تدل على علو صُراخ النفس، بصورة نسبية، إذ قلما نجد صيغًا صرفية، فى عمومها، جاءت على وزن (فُعال)، وحملت معنى سارًّا، إلَّا فى سياق نوعى، له ضوابطه ومحدداته.

والمتنبى - فى البيت السابق- بين انفعالين، كلاهما يشكل ثنائيات ضاغطة من مثل : الأرق، النوم، واليقظة، والرغبة؛ وعلى أساس من هذا التوتر، احتاط المتنبى بصيغة مصدرية تحمل العديد من الانفعالات النفسية، ليُشير إلى حيرته، بين حيويته النفسية و افتقادها ، فجاء بالقالب المصدر على زنة فُعال. ونحو ذلك : قوله :

وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِى لِخَطْبٍ	وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِى هُزَالْ.[1]

يُريد أبو المتنبى أن يُثبت أن الإنسان بين تنقل من حال إلى أخرى، فإذا تمتع بالمنعة والقوة، ومصارعة الخطوب، تحتم عليه أن يتذكر الهزال والمرض، يقول أبو البقاء : " المغضى : الصابر عن قدرة ، والخطب: الأمر العظيم، وأصل الإغضاء : إطباق الجفون بعضها على بعض، يقول : كم من إنسان قد أغضى للموت، وكان لا يُغضى إلى الخطوب الشديدة، وكم من بال؛ لو رأى فى جسمه هُزالًا كان يشتغل به، ويفكر فى أمره، أو: كم من إنسان كان يحذر الضَّيْر ويتوقعه، نزل به الموت، و أبلاه قبل ما كان يحذره ".[2] فاحتاط المتنبى لمعنى ضرورة انشغال المرء بنفسه، بالقالب المصدر(فُعال) ليذكره بضعفه، قلة إرادته، وقد احتاط لذلك المعنى خشية أن يتبادر إلى ذهن المتلقى خاطر القوة المنفردة، ودلَّ بالمد الموجود فى (هُزال) على طول فعله ، و أنه أكثر امتدادًا من القوة ومصارعة الخطوب.

والذى تمثله الكلمات: نُباح، وهُزال، ورُقاد؛ ليدل على وقوع نفسه بين تفاعل المتناقضات، بين الصراخ والسكوت، بين القوة والهُزال، بين النوم والأرق، فجاء المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: بَاح، زَال ، قُاد، والذى يمثله الشكل المورفولوجى(ص ح ح ص)، ليدل على ضيق مساحة الاستراحة النفسية.

هذا بالإضافة إلى أن ألف المد فى فُعَال - والتى عبَّرت عنها القوالب المصدرية (نُباح، وهُزال، ورُقاد) - قد توسطت البنية الصرفية، أى صارت من الدواخل الأحشاء، وفيها ما

([1]) البيت من قصـيدة لأبى الطيب ، يرثى بها سـيف الدولة ، وقد توفيت بِمَيَّا فَارِقِين ، وقد جاءه الخبر بموتها إلى حلب، سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، وهذه القصيدة من الو افر، والقافية من المتو اتر، انظر: الديوان: 257

([2]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 19

يدل على إلهاب النفس الناجم عن الارتعاد النفسى والتردد؛ بين الإغلاق والانفجار؛ والضيق والانفتاح، فتصبح الذات سليبة القدرة، محايدة، قلقة، على نحو من صفات ألف اللين، التى تخرج من دون أن يتدخل اللسان أو الشفتان فى إخراجها؛ فيكون عمل اللسان والنفس من موضع واحد أخف، حيث لا قدرة على الفعل، من جانب النفس، ولا قدرة على الإعلاق من جانب اللسان أو الشفتين.([1])

يقول سيبويه: " وقالوا : وجب القلب وجيبًا، ووجف وجيفًا، ورَسَم البعير رسيمًا؛ فجاء على فَعِيل كما جاء على فُعال، وكما جاء فَعِيل في الصوت، كما جاء فُعَال، وذلك نحو الهَدير، والضَّجِيج، والقليخ، والنَّهيق، والشحيج ،فقالوا : قلِخ البعيرُ يقلخ قليخًا، وهو الهدير". (2) يُشير الكلام السالف إلى أنه للدلالة على الصَّوت المتكرر الشديد ، يؤتى بالمصدر على وزنين صرفيين ، هما : (فَعِيل) و(فُعَال).

بيد أنه – استنادًا إلى القول الشهير بأن زيادة المبنى تؤدى – غالبًا- إلى زيادة المعنى- تكون الصيغة المصدرية (فُعَالًا) أبلغ فى التعبير عن التكثيف الدلالى من الصيغة (فَعِيل)؛ لأن امتداد المعنى وبقائه فى ذهن المتلقى مع مدة الألف، أطول من تحقق ذلك مع مدة الياء؛ إذ إن الألف موضوعة للإطالة والإطلاق ، ولها وضوح سمعى مرتفع.

يقول ابن جني : "ونحوٌ من تكثير اللفظ لتكثير المعنى: العدولُ عن معتادِ حالِه، وذلك فُعَال في معنى فَعِيل؛ نحو طُوَال؛ فهو أبلغ (معنًى من) طويل، وعُراض؛ فإنه أبلغ (معنًى من) عَريض، ففُعَال - لعمري- وإن كانت أختَ فَعِيل في باب الصفة، فإنَّ فَعِيلًا أخصُّ بالباب من فُعَال؛ فلما كانت فَعِيل هي الباب المُطَّرِد وأُريدت المبالغةُ، عُدِّلت إلى فُعَال؛ فضارعت فُعَال بذلك فُعَّالًا، والمعنى الجامع بينهما: خروج كلٍّ واحد منهما عن أصله ؛ أمَّا فُعَّال فبالزيادة ، وأما فُعَال ؛ فبالانحراف به عن فَعِيل".(3)

رابعًا- ما جاء على زنة (فِعَال). بكسر الفاء ، وفتح العين ، نحو : نحو : قولُهُ :

لَا تَحْسُنُ الشَّعْرَةُ حَتَّي تُرَي	مَنْشُورَةَ الضِّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ.(4)

([1]) انظر: الكتاب، ج4 : 335- 336 ، و انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية : 91 - 92

(2) الكتاب، 14/4

(3) الخصائص، ج3: 191

(4) حين قيل له، وهو في المُكتَّب: ما أحسن هذه الوفرة !!، فقال ارتجالًا: من بحر السريع ، والقافية من المترادف، انظر: الديوان : 6

قال سيبويه: "ومما تقاربت معانيه، فجاءوا بِهِ على مثال واحد، نحوُ: الفِرَار، والشِّراد، والشِّماس، والنِّفار، والطِّماح، وهذا كلُّه مُبَاعَدة ، والضِّراح إذا رَمَحَتْ برجلها؛ يُقال : رَمَحَتْ ، وضَرَحَتْ ، فقالوا : الضِّراح شبَّهوه بذلك وقالوا : الشِّباب ، شَبَّهُوه بالشِّماس".(1) وأشار إلي جواز مجيء المصادر على فِعَال ؛ كما جاء على فُعُول، بقوله: " بعض العرب يقولون : كذبته كِذابًا ، وكتبتُه كِتابًا ، وحجبته حجابًا ، وبعض العرب يقولون : كتْبًا علي القياس ، ونظيره : سُقْتُه سِيَاقًا ، ونَكَحَهَا نِكَاحًا ، وسَفَدَهَا سِفَادًا ، وقالوا : قَرَعَهَا قَرْعًا " .(2)

ويقرر ابن مالك أن فِعَال، بكسر الفاء موضوع لما فيه تأبٍّ وتمرد، ومقاومة، يقول: "وكون فِعَال لما فيه تأبٍّ ؛ كـ: الشِّراد، والجِماح، والقِماص، والشِّباب، والخِلاء، والحِماء، والصِّراف، والهِياج، والحِران، والشِّماس".(3)

يقول أبو البقاء:" ورواه أبو البقاء: الوفرة، بدلًا من الشعرة ، والوفرة : الشعر التام على الرأس ، والضفرين : الضفائر، سماها بالمصدر، يقول : لا يحسن الشعر إلَّا إذا نُشرت ذوائبه، ويعنى بهذا أنه شجاع ؛ وصاحب حروب، يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال، وكانوا يفعلون ذلك ، تهويلًا للعدو، فالقتال يأتي للسَّوق والطرد والدفع، ويأتي المصدر(فِعَال) للفعل الثلاثي (قَتَل) قَتْلًا ، وقِتَالًا ".(4)

ويتصل بهذا القالب المصدرى ما أورد أبو الطيب، مما جاء على وزن (فَعَال)، بفتح الفاء والعين، قوله :

تَصَرَ الْفَعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا	خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمَا.(5)

من اللافت أن الشاعرَ أبا الطيب المتنبى – فى البيت الثانى- قد جاء بقالب المصدر (الْمِطَال) على وزن (فِعَال) من الفعل الثلاثي (مَطَلَ)؛ للدلالة على الامتناع على التعقل، و إتيان ما يحمله قالب (الفعال) من معانى الالتزام؛ بخلاف الإصرار على فعل المراوغة ، وتحقق التباعد النفسى.

ويتضح سعيُ الشاعر لتمكين معنَى المماطلة؛ وذلك بعدم مقدرته على المدافعةَ؛ لذا

(1) الكتاب، ج4: 12

(2) الكتاب :ج4 : 7

(3) شرح التسهيل ، ج3 : 324

(4) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 159

(5) الديوان : 9

احتاط الشاعر بهذا المصدر الصريح، ممَّا جاء على (فِعَال) ليكشف ما يقوم به المتلقى من فعل المماطلة، وهو أن جميع فعله قائم على المراوغة والمماطلة، لذا فلن ينال سؤاله، حتى إن هذا الأمر صار كالشىء المحرم، فاحتاط أبو الطيب قالب المصدر – هنا- لمعنى السخرية والتنفير، ولإعلام من يخاطبه بذمه لصفة المماطلة ، وأن تلك الصفة لا تناسب العقول الراجحة ، والأنفس النبيلة.

لذا يكون الاحتياط - للمعني - بالمصدر في العدول من صيغة إلي أخري، من باب الاستحسان لدي ذهنية المتلقي للنص، أو لشيوع تلك الصيغة في بيئة ثقافية ما ، أو في إطار اجتماعي محدد، أو لقصدية المؤلف أن يعي متلقيه قصده ، أو لارتباط إحدي الصور بذهنية أحد مستخدمي النص، أو لاتصالها ببُعد نفسي لدي أحد أطراف الكلام، وكأن ذلك أسلوب يلجأ إليه مؤلف الكلام ؛ لتمكين قصده المركزي من كلامِه؛ لئلا تخرج ذهنية المتلقي عنه، ولا وجدانه؛ وهو تصرف يدفع به مؤلف النص متلقيه عن الظن والاحتمال وسوء التأويل، أو حمل الكلام علي غير معناه .

<u>خامسًا- ما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر (تَفْعَال)؛ بفتح التاء، وسكون الفاء، وفتح العين، نحو : قولُهُ :</u>

وَقَدْ قَصَدْتُكَ وَالتَّرْحَالُ (1) مُقْتَرِبٌ	وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا.(2)

قال سيبويه: " هذا باب ما تكثَّر فيه المصدر من فَعَلْت، فتلحق الزوائد، وتبنيه بناءً آخر، كما أنَّك قلتَ في فَعَلت: فَعَّلْتُ، حين كثَّرْتَ الفعلَ، وذلك قولك: فى الهذْر: التَّهْذار؛ وفى اللَّعب : التَّلْعَاب، وفى الصَّفْق : التَّصْفاق ، وفى الردّ: التَّرْداد، وفى الجَوَلَان: التَّجْوَال، والتَّقْتَال، والتَّسْيَار".(3)

تجدر الإشارة إلى أنه يتمثل احتياط المصادر للمعنى، فى أن كثيرًا من المصادر ما جاء " لتكثير الفعل والمبالغة ، نحو: ما جاء على تَفْعَال، بفتح التاء، سماعًا ؛ مثل : التهدار،

(1) ومثله قوله، من قصيدة يمدح أخاه أبا سهل سعيد بن عبد الله، من البسيط ، والقافية من المتدارك ، يقول:

تُهدى البوارقُ أخلافَ المياه لكم		وللمحب من التَّذْكار نيرانًا .

انظر: شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج 4 : 222

(2) البيت من قطعة شعرية من ثلاثة أبيات ، لأبى الطيب ، يمدح فيها محمد بن زريق ، من بحر البسيط ، انظر: الديوان : 55

(3) الكتاب، ج4: 83-84

والتَّرْحَال ، والترداد ، بمعنى ، الهدر ، والرحيل ، والتردد ، ونحو ما جاء على تفعيل ، وهو قياسى مثل : التقطيع ، ونحو : فَعِّيلًا ، كقول عمر – رضى الله عنه:" لو أُطيق الآذان مع الخِلِّيفا لَأَذَّنت ". وقول عمر بن عبد العزيز: لا رَدِّيدًا فى الصدقة ، أى : لا تُرد". (1)

إنَّ وزن (التَّفْعَال) مصدرٌ للفعل الثلاثي المجرد، مما جاء على زنة (فَعَلَ)، بفتح، ففتح، وما لحقه من الزوائد، جاء ليختص بالدلالة على المبالغة والتكثير، ويُرجَّح أن أصله (التَّفْعِيل) الذي يفيد الامتداد الدلالى المقترن بالامتداد الصوتى، فيما بعد العين؛ بالإضافة إلى إشارته إلى المبالغة فى القيام بالفعل، والتكثير من دلالته من خلال الامتداد الزمنى، وطول استحضار المعانى، والتدرج فى تكثيفه، وكأن المعانى قد جاءت مضاعفة مكثفة .(2) بيد أن هذا الأمر لا نجده مطلقًا عند سيبويه، يقول: " لو كان كذلك ، لصحَّ أن يقال: التَّهْدير، والتَّلْعيب، وليس كذلك".(3)

ويُفهم من كلامه أن التدفقات الصوتية للقالب المصدرى (تَرْحَال) (تَفْعَال) تحمل تدفقات دلالية، وقد تمحورت حول مضمون قضوى مقصود، إذ إن مؤلف الكلام يلزمه زيادة المقاطع الصوتية فى البناء اللفظى إن أراد التكثير فى المعنى، والمبالغة فى الاحتياط له، ولها رافدان؛ أحدهما: كمُن فى التشكيل المقطعى للوحدة اللغوية(ترحال)، والآخر: كمُن فى اشتمال القالب المصدر(ترحال) على حركة طويلة فى المقطع الصوتى 0المتوسط المفتوح (ص ح ح)، وقد توسط البنية المصدرية، فقد تشكلت بنية القالب المصدر (ترحال) من مقطعين قويين، مغلقين، يحملان قوة فى إيقاع الفعل، وتكثيفًا لدلالته. ويُمكن تصوير هذا الأمر على النحو الآتى:

البنية المصدرية	الوزن الصرفى	المقطع الأول	المقطع الثانى	المقطع الثالث	ملاحظات
تَرْحَالٌ	تَفْعَالٌ	تَرْ	حَــا	لُنْ	فى حالة الوصل
التحليل المقطعى		ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	3 مقاطع

(1) الكُنَّاش فى النحو والصرف : 188 - 189

(2) انظر: التشابه اللفظى فى القرآن الكريم ، دراسة تحليلية : 62

(3) انظر: الكتاب، 84/4

تَرْحَالْ	تَفْعَالْ	تَرْ	حَـالْ	——	
التحليل المقطعى		ص ح ص	ص ح ح ص	——	مقطعان

فى حالة الوصل، تخلصت الحركة الطويلة من المقطع الثقيل (ص ح ح ص)، وشكلت الحركة الطويلة جزءًا من بنية الكلمة، مما منحها استطالة فى الصوت والدلالة، فحملت الكلمة معنى وظيفيًّا، بالنظر إلى معانى الكلمات الأخرى، ودلَّت على تكثيف الحدث ، وكان الحركة الطويلة نابت عن تكرير المعنى، مرة تلو الأخرى، حتى صارت قرينة من قرائن تأكيد المعنى.([1]) وعبَّر البناء المقطعى للوحدة (تَرْحال) بتشكيله من المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والمقطع الطويلة المغلق(ص ح ح ص) فى حالة الوقف، عن كثرة التنقُّل، والدوران بين الأماكن ، وكأن البناء المقطعى قد عكس حالة من التوحد بين النفس والصوت.

فقد استخدم أبو الطيب قالب المصدر(الترحال) على زنة (التَّفْعَال) حين رام توجُّه الراحلة وتنقُّلها بين القفار والأودية ؛ نحو أطلال محبوبته، وقد أعياها الجوع وطول السفر، وبُعد الدار، فتنقلت من حال إلى حال، وقد جاء هذا الوزن بالفتح (التَّفْعَال) ليدل على المبالغة ، وتكثير الفعل حال التنقل والاضطراب. (2)

يقول أبو البقاء : " الشسوع : البعد، ونَفِد: فنى، والتَّرحال : الرحيل؛ المعنى : يقول: قد قصدتك عند بعد دارى ، وقرب رحيلى ، ونفاد زادى".([3]) فالشاعر عندما أراد أن يبيِّنَ ضعْفَ الراحلة وعدمَ مقدرتها ، وقلة زاده ونفاده ، وبُعْد دار المحبوبة عن محل راحلته ، احتاط إلى معنى الإرادة وصدق العزم فى التوجه إلى محبوبته ، فجاء بالمصدر الدال على المبالغة والتكثير؛ احتياطًا لمعنى صدقه ،وإصراره على الوصول إليها.

<u>سادسًا- مما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر (فِعْلَان). بكسر الفاء، وسكون العين، نحو قوله :</u>

([1]) انظر: الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية، د : حازم على كمال الدين، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة: 103– 107.

(2) انظر: مفتاح العلوم : 49

([3]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 348

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ	وَيَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ.[1]

جعل سيبويه فَعَلَان، بفتح الفاء، هى الأصل، وفِعلان، بكسرها لغة، وكلاهما دخل فى اللغة، يقول: " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تقاربت المعاني، قولك: النَّزَوان والنَّقَزان، وإنما هذه الأشياء فى زعزعة البدن، واهتزازه في ارتفاع، ومثله : العَسَلَان، والرَّتَكَان، والغَليان؛ لأنه زعزعة وتحرُّك، ومثلُه : الغَثَيَان ، لأنه تجَيُّش نفسه وتثوُّر، ومثله : الخَطَرَان، واللَّمَعَان؛ لأن هذا اضطراب وتحرُّك ".(2)

ثم يقول: " وقد جاءوا بالفَعَلان فى أشياء تقاربت، وذلك : الطَّوَفَان، والدَّوَرَان، والجَوَلَان، شبهوا هذا حيث كان تقلُّبًا وتصرُّفًا بالغليان والغثيان؛ لأن الغليان أيضًا تقلُّب ما فى القدروتصرُّفه ".[3] وممَّا جاء من بعض المصادر على فِعلان، وذلك نحو: " حَرَمَه ، يَحْرِمُه، حِرْمَانًا، ووَجَدَ الشَّىءَ يَجِدُهُ وِجْدَانًا، ومثله: أَتَيْتُهُ آَتِيه إِتْيَانًا ، وقو قالوا : أَتْيًا على القياس".[4]

ونحوًا من ذلك " ما يدل على الاضطراب والحركة ، نحو : الغليان ، والغثيان ؛ فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال، وعدّهَ ابن جنى ذلك بابًا فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى، وجعلته من أبواب عناية العرب بالصنعة".[5] وهنا معناه أن الصيغة المصدرية فَعَلان تشير إلى ضرب من التقلب والتنقل من حال إلى أخرى، كـ: الطَّوَفان، والجَوَلان، والنَّزَوان، والخَفَقان، والضَّرَبان، والجَيَشان، والثَّوَران، والغَلَيان، والهَيَجان".[6]

أراد الشاعر أن يُبين ثباته على حبه وعشقه لمحبوبته ، و أنه ممتنع غير منقاد لهوى العازل ، المُلِحّ عليه فى البعد عنها ، رغم أن الطبائع ، تتقلب ، والبشر يناقدون لطبيعتهم، وذكر القلب ، ليؤكد معنى التقلب ، والاهتزاز، والضعف. فالشاعر - لمَّا أراد أن يصور قوة غلبة النسيان ، وقوته فى دوام تذكرهم ، والبقاء على حبهم ؛ احتاط لذلك المعنى ؛ بالمجيء بالمصدر على الفَعَلان (نَسَيَان على زنة (فَعَلَان)، الدالة على مقاومة التغيُّر والتقلب ،

---

(1) الديوان : 259

(2) الكتاب، 14/4.

(3) الكتاب ، ج4 : 15

(4) الكتاب ، ج4 : 8 - 12

(5) الخصائص ، ج2 : 100

(6) شرح التسهيل ، ج3 : 325

واحترس من أن يأتى بالقالب اللغوى على صورة الفَعْل ، الدالة على الجمود والثبوت فحسب ، من دون إشارة إلى التحرك والاضطراب.

يقول أبو البقاء : " الطباع والطبيعة ، بمعنى واحد ، وهى الخليقة ؛ يقول : العازل يُريد من قلبى أن يسلاكم ، وقد جرى حبُّكم فيه مجرى الطبيعة ، وحلَّ فيه محل الخليقة، والطبيعة لا تنقاد لناقلها ؛ ولا تتأتى لمخالفها ... قال الحكيم : نقل الطباع من ردىء الأطماع شديد الامتناع".([1])

فجاء قالب المصدر بزيادة النون - التى للتقوية - مصدر قوة بوصفه حاملًا وظيفية تعبيرية، تجلَّت تلك الوظيفة التعبيرية فى ذلك الأثر الدلالى على قوة المعنى وكثرته والمبالغة فيه؛ بزيادة النون على قالب المصدر الصريح، لما يمتاز به صوت النون من التوسط والغنة، مما يتيح للمتكلم إلقاء الدفقات الدلالية بصورة مغلقة وقوية ، يُحقق بها المتكلم مزيدًا من لفت انتباه المتلقى .

وقد احتاط به المتنبى عن أن يبتعد ذهن المتلقى عن معنى التحسر، وعدم جدوى التكرير لقوالب الصراخ والندم ، بالإضافة إلى أن هذا القالب قد شكَّل فعلًا كلاميًّا تعبيريًّا، لُفظ به، ليتضمن خبرًا ما ، بهدف التأثير فى ذهن المتلقى ووجدانه ؛ ويدفعه نحو الفعل الإنجازى، وقد جاء القالب المصدر بزيادة النون فى آخر البنية الصرفية ليدل على رغبة الوشاة فى أن يكثر المتنبى من فعل النسيان لمن يُحب؛ وهو التسليم باحتياط المتنبى لفعل التحسر وإصراره على وصل محبوبه، ليتحول المتلقى إلى دلالات الفعل التأثيرى، وتتحقق – هنا- تداولية الفعل الكلامى بين المؤلف والمتلقى، حين يتجلى أثر قالب المصدر فى نفس المتلقى ، وفكره ، ونظرته ، فلا يبتعد عن معنى التحسر الذى ساقه المؤلف .([2])

وكأن الإجابة على تساؤل المتلقى عن عِلِّيَة تكثيف المتنبى للقوالب المصدرية فى منجزه الشعرى المتفرد، ليست بالأمر الساذج ، لاسيما حين نسلِّم بأن الانتخاب للقوالب اللغوية عامة – وهيئتها ، وترتيبها ، وما يُقصد من تحريك عناصر الخطاب الكلامى – ما هى إلَّا صورة منعكسة، لترتبها، وهيئتها فى نفس المؤلف ، ويحسن – هنا- الإقرار بأن المتنبى كان على دراية بواجبات مؤلف الخطاب تجاه متلقيه، كما كان مدركًا لدور العلاقة بين

([1]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ج3 : 22

([2]) انظر: الأفعال الكلامية فى التحليل النحوى للنص القرآنى عند أبى حيَّان فى البحر المحيط ، محمد محمود فراج حسانين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس (2016م) : 91 - 92

المؤلف والمتلقى فى عمليات الانتخاب، والتلفظ، والترتيب، والتحريك، فجعل إدراك المعنى والكشف عنه ، أو على الأقل تقديم مقاربة تأويلية له من مسئوليات المتلقى ،وإن استدعى ذلك أن يغوص داخل سراديب القوالب الشعرية بين قراءة الشكل والمعنى الترميزى لها.

واللافت – فى هذا الشأن- أن المتنبى لم يعمد – فى احتياطه لمعناه، بقالب المصدر- إلى تأصيل فكرة Concept لغوية سائدة، وهى أن الكثرة للكثرة أو العكس؛ بمعنى : إن كثرة البنية تؤدى – لاشك- إلى كثرة الدلالة والعكس؛ بل أقام قوة أسلوبه على أسس من الدفقات الدلالية ، المنبعثة من القوى المقطعية المشكلة للهيكل المورفولوجى لقالب المصدر.

كان تكثيف المتنبى من القوالب اللغوية من جنس المصدررغبة منه فى إضفاء شعور بالصدق فى منجزه الشعرى ، لاسيما حين تتصاعد وتيرة النرجسية أو لنقل : المغالاة فى الاعتداد بالنفس ، فنرى تلاحمًا لافتًا قوالب الأنا/الذات الشاعرة ، والتى تمثلها ضمائر المتكلم ، وقوالب المصدر التى تؤكد محتوى ما يقول ، وقد غالى المتنبى فى هذا الأمر، بحيث لا يمنح متلقيه ؛ أيًّا كان موقعه أن يمر بأفق انتظار شك فى حديثه.

نجد - حين نقترب من المتنبى – أنه يمتلك ذات ليست بالسوية ، فى غالب أمرها ، بل تبدو متغطرسة ، تُغلِّب الأنا، وتحاول التمرد على و اقعها اللغوى والحياتى؛ ولا نبالغ إذا ادعينا أن شاعرنا كان نفسًا تشكل أيقونة التميز والغر ابة والتفرُّد، فكانت ذاته رهينة التناقضات ، متوترة فى فعلها، مطرودة فى و اقعها، مجبرة على التعايش بين المنافقة والسخط ، بين الرخاء والسجن والطرد ؛ قوام حياتها المعاداة والمناصرة، لذا كان يشعر دومًا أنه غير بنى جلدته ، يقول ابن مالك : " وكون فعيل ، للأصوات ؛ كـ: الصَّهِيل، والنَّهِيث، والهدير، والصَّفير، والهزيز، والنَّعيب، والنَّسيب، والنَّشيج، والأزيز، والعجيج، والكشيش؛ وكون فَعِيل، لضروب السير ؛ كـ: ذمل ذميلًا، ورسم رسيمًا، ووجف وجيفًا ، ودبَّ دبيبًا".([1])

<u>سابعًا : مما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر ، مما جاء على زنة (مُفْعِل)([2]) بضم الميم ، وسكون الفاء وكسر العين، ومما جاء على زنة (مَفْعِل) بفتح</u>

([1]) شرح التسهيل ، ج3 : 324- 325

([2]) تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد أورد هذا الوزن المصدرى ضمن أبواب الثلاثى ، لشهرته فيها ، وكثرة مجيئه فى استعماله منها ، بوصف سابقة الميم زيادة فى أصل الوضع والتصريف ؛ بيد أنه يجب

الميم، وسكون الفاء وكسر العين :

يُشير سيبويه إلى أن هذه الصيغة يكثر أن تكون للموضع أو للآلة ، كما تكون للاسم أو للصفة ، وأن هذه الصيغة تُزاد فيها الميم.(1) ، وتابع ابن جنى هذا الرأى ؛ فقال : " ألا ترى أن (مَفْعَلًا) لمَّا كانت زيادته ، في أوله لم يكن مُلحَقًا بها، نحو: مَضْرَب، ومَقتَل ، وكذلك: مِفْعل ، نحو : مِقْطع ، ومِنْسج ، وإن كان مَفْعل بوزن جعفر ، ومِفْعل ، بوزن هِجرِع ، يدل على أنهما ليسا ملحقيْن بهما ، ما نشاهده من إدغامهما ، نحو: مَسَدّ ، ومَرَدّ، ومِتَلّ ، ومِشَلّ . ولو كان ملحقين لكان حريًّا أن يخرجا على أصولهما ، كما خرج : شملل، وصعرر على أصله . فأمنا مَحَبْبَ فَعَلمَ خرج شاذًّا ، كتَهْلل ، ومَكْوَزةٍ ، ونحو ذلك مما احتمل لعلميته .

وسبب امتناع مَفعَل ، ومِفعَل أن يكونا مُلحقَين - وإن كانا على وزن جَعفَر وهِجرَع - أن الحرف الزائدَ في أولهما، وهو لمعنًى ؛ وذلك أن مفعلًا يأتى للمصادر ، نحو : ذهب، مَذْهبًا ، وودخل مَدْخَلًا ، وخرج مَخْرَجًا . ومِفْعلًا يأتى للآلات ، والمستعملات ؛ نحو: مِطْرق، ومِرْوحٍ ، ومِخْصفٍ ، ومِئْزَرٍ.

فلما كانت الميمان ذواتَيْ معنًى ، خَشُوا إنْ هم ألحقوا بهما ، أنْ يُتوهَّم أن الغرضَ فيهما إنما هو الإلحاق حسب ، فيُستهلك المعنى المقصود بهما ؛ فتحامَوا الإلحاقَ بهما ؛ ليكون ذلك مُوفِّرًا على المعنى لهما ؛ ويدلُّك على تمكُّن المعنى في أنفسهم ، وتقدُّمِه للَّفظ عندهم : تقديمُهم لحرف المعنى في أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به ؛ فقدَّموا دليلَه ، ليكون ذلك أمارةً لتمكُّنِه عندهم".(2) ومن أمثلته : قول أبى الطيب المتنبى :

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِى نَيِّهَا	إِسْآدُهَا فِى الْمَهْمَهِ الْإِنْضَاءُ.(3)

يقول أبو البقاء: " تقدير البيت : تبيت هذه الناقة تسئد مسئد الإنضاء فى نيها إسآدها فى المهمه ؛ ومسئد : أجرى حالًا على الناقة لما تعلق به من ضميرها ، الذى فى نيها، كما تقول : مررت بهند و اقفًا عندها زيدٌ .

التنبيه إلى أنه قد يكون من الرباعى المجرد ، مما جاء على زنة (أفعل) ، ويكون مصـــدره : (مُفْعل) بضم الميم وفتح العين ، نحو: أخرج ، مُخْرَج ، وأدخل ، مُدْخل ، وغير ذلك من الأمثلة .

(1).انظر: الكتاب ، ج4: 272

(2) الخصائص، ج1 : 198

(3) البيت من قصـــيدة لأبى الطيب يمدح فيها أبا على هـارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف ، وهى من مقطوع الكامل ، انظر: الديوان : 115

والإسآد : إسراع السير فى الليل خاصة ، والنىُّ : الشحم ، والمَهْمَه : الأرض الواسعة البعيدة ، والإنضاء : مصدر أنضاه يُنضيه : إذا هزله ، والمعنى : أن المهمه يُنضيها كما تُنضيه ... يقول : إن هذه الناقة تبيت تسير سائرًا فى جسدها الهزال ، سيرها فى المهمه ، و أقام الإنضاء مقام الهزال للقافية ، وكان الأولى أن يجعل مكان الإنضاء مصدر فعل لازم؛ ليكون أقرب إلى الفهم".([1]) يُريد أبو الطيب الإشارة إلى سرعة راحلته ، وقد احتاط لهذا المعنى بالمصدر، مسيدًا ، والذى شغل موقع المفعول ، لتمكين معنى سرعتها ، رغم ما تعانيه من عنت ومشقة ، وطول الأرض التى تقطعها . ومن أمثلة (مَفْعِل) قوله :

وَشَيْخٌ فِى الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا	يُسَمَّى كُلَّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَا .([2])

يقول أبو البقاء : " يُريد أنه شيخ فى شبابه ؛ لعقله وكماله ، ورأيه ؛ وإن كان شابًّا فى سنِّه؛ وكم من إنسان قد بلغ حدَّ الشيخوخة ، ولم يستحق أن يُسمى : شيخًا ؛ لنقصه".([3]) يريد المتنبى أن يُشير إلى هرمه فى شبابه، وأن الكبر قد نال منه، رغم أنه فى مقتبل الشباب، فقد جاء الشاعر- في الشطر الثاني– بالمصدر(المشيبا) على زن (مَفْعِل) احتياطًا للمعنى وتمكينًا له؛ بالنفى، واسلوب الحصر بالتقديم والتأخير، فى قوله : ليس شيخًا)، بالإضافة إلى احتياطه بالمصدر المشيب، حتى يثبت معنى الهرم فى نفس المتلقى. وقد جاء بالميم الزائدة، فى أول الصيغة المصدرية تقوية للمعنى، حيث إنها تدل على جمع عناصر المعنى إلى ذهن المتلقى– سواء فى أول الكلمة أو آخرها، فتكون فى أولها ممهِّدًا صوتيًّا لإنشاء الدلالة، وتكون آخرًا للدلالة على الجمع والكثرة، على نحو ما نرى فى زيادتها فى الصفات نحو قولهم: رجل زرقم: من قولهم : الزُّرْقم: الأزرق الشديد الزَّرَقِ .([4])

وقد أخذت هذه القوة (قوة اللفظ) من صفاتها الصوتية؛ إذ إنها شفوية، تنطق بالضم والضغط، لذا لجأ المتنبى فى الاحتياط لمعناه إلى سابقة الميم، ليضف قوة إلى قالب المصد، الدال على التشديد، لذا جاء بها أبو الطيب المتنبى فى المصدر(المشيب) تفخيمًا لمعناه، وكأنها قد جبرت الضعف الناتج عن حرف اللين، فكان ذلك سببًا فى إرهاق المعنى وتشويهه، بالإضافة إلى تعظيم أمارات الشيب التى لا يُمكن إخفاؤها، فقد عظَّمت

([1]) شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 17

([2]) البيت من قصـيدة ، يمدح فيها على بن مكرم التميمىّ، وهو على بن محمد بن سـيَّار بن مكرَّم، وكان يُحب الرمى، انظر: الديوان : 182

([3]) شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 142

([4]) لسان العرب ،ج3: 1827 ، مادة : (زرف ، زرق)

الميم من شأن الضعف فى موازنة الشباب، بالإضافة إلى ما فى قالب المصدر من حرف لين واعتلال، فدلَّ على الاحتياط فى التعبير عن المبالغة فى الضعف.

2. تعقيب على المحور الأول :

ليس من باب المغالاة، ولا التحيُّز للمتنبى فكرًا ولا صياغة، ولا سمات شخصية ونفسية الإقرار بأن انتخاب المتنبى لقالب المصدر من الثلاثى، لم يكن لمجرد الاحتياط للمعنى الذى يُريده فحسب، بقدر ما كان آلية لتحقيق عمق الدلالة، و انفتاحه أمام تنوع سياقات التلقى، ومحددات التفسير، بعيدًا عن قصدية المؤلف الإيهام، والتعمية، والغموض المجرد من الجماليات الفنية، فى ضوء معيارية الصياغة والصناعة، وتحقيق جودة الهيئة والترتيب للعناصر الكلامية، مما يجعل من ذلك مندوحة لسمو المعنى.

جاء انتقاءُ المتنبى لقالب المصدر من الثلاثى معبِّرًا عن آلية استبدالية، ربط بها بين حالة نفسية ، غلب عليها طابع التألم، وبين قدرة قالب المصدر– من خلال ما تملكه من ثراء دلالى- فى التعبير عن المعنى بدقة وبصورة مقتضبة .

يُشير الاستقراء الناقص أن قالب المصدر الثلاثى قد احتاط به أبو الطيب المتنبى عن الإطناب والإطالة فى مفردات المعانى وعناصرها، حيث تعد قوالب المصدر الثلاثى دالًا على تكثيف المعنى والاختصار فيه ، مما يقوى من تثبيته فى ذهن المتلقى وتمكينه فى نفسه، ومبالغة فى الاحتياط بقوالب المصادر الثلاثية صدَّرها أبو الطيب بالميم الزائدة، التى تعد ممهدًا دلاليًا .

على نحو ما نرى فى مفعل، بفتح الميم، والعين، أو مِفْعل، بكسر الميم وفتح العين ، أو أورد من ما يدل على امتداد المعنى، من خلال توسيطه حركة طويلة، أدت إلى امتداد استحضار المتلقى للمعنى، حتى ينقطع امتداد حرف اللين، على نحو ما رأينا، فى فَعالة، وأخواتها، كذلك ألحقها المتنبى بمورفيم لاحقة التاء المربوطة، الدالة على تخصيص الدلالة، والمبالغة فى تمركز الذهن حول معنى القالب المصدرى.

المحور الثانى: الاحتياط الصرفى للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية فى شعر المتنبى:

3. مدخل تمهيدى :

عرض سيبويه (ت180هـ) أمثلة عديدة للمصادر غير الثلاثية، واشتقاقاتها المختلفة؛ وما تختص به ، وما تُشير إليه من دلالات، حتى إن الجزء الرابع يكاد يشمل

قالب المصادر فحسب([1])، وذكر ابن جنى(ت 392هـ) أن قوة اللفظ تكون لقوة المعنى، وأن تكثير اللفظ لتكثير المعنى؛ بأن يعدل مؤلف الكلام عن معتاد حال اللفظ إلى حالة أخرى، ويكون المكثَّر أبلغ، و أقوى فى القيمة الدلالية للمعنى ؛ مما يصح أن نسميه : العدول الصرفى، نحو: فُعال ، بضم الفاء، فى معنى فعيل، نحو: طُوال، فهو أبلغ معنى من طويل، وعُراض، فإنه أبلغ معنى من عريض؛ وكذلك : خُفَّاف ، من خفيف، وقُلال، من قليل ؛ وسُراع من سريع، وفُعال ، وإن كان أخت فعيل فى باب الصفة، فإن فعيلًا أخص بالباب من فُعال، فلما كانت فعيل هى الباب المطَّرد، وأُريدت المبالغة؛ عُدل إلى فُعال، فصارت فُعال بذلك فُعَّالًا .([2]) ويُمكن درس هذا المحور على النحو الآتى:

أولًا : ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (افْتِعَال). نحو: قوله :

وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ	وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِى الْبَهَائِمِ.([3])

يقول ابنُ الأثير(ت 637هـ): فى النوع الثانى عشر من أنواع الصناعة اللفظية " فاللفظُ إذا كان على وزنٍ من الأوزان، ثم نُقِل إلى وزنٍ آخر أكثرَ منه، فلا بد أن يتضمَّنَ من المعنى أكثرَ ممَّا تضمَّنه أولًا؛ لأن الألفاظَ أدلةُ المعاني، وأمثلةٌ للإبانة عنها، فإذا زِيدَ في الألفاظِ أوجبَت القسمةُ زيادةَ المعاني، وهذا لا يُستعمل إلَّا في مقام المبالغة" . (4)

وهذا ما يفسِّر زيادة القيمة الدلالية للصيغة الصرفية (افتعل) فى موازنة الصيغة الصرفية(فَعَل) ، وفى هذا المعنى يقول الرضى(ت686هـ): " وللتصرف، أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل؛ فمعنى كسب: أصاب ، ومعنى اكتسب : اجتهد في تحصيل الإصابة بأنْ زاول أسبابَها ؛ فلهذا قال الله تعالى: (لها ما كسبت)([5]) أي: اجتهَدَت

([1]) الكتاب ، ج4 : 11 ، ما بعدها.

([2]) انظر: الخصائص ، ج3 : 191

([3]) البيت من قصيدة لأبى الطيب ، يمدح فيها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وكان أبو محمد قد كثُرت مراسلته إلى أبى الطيب من الرملة ، فسار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد، فمدحه بهذه القصيدة ، وهى أول ما قال فيه أبو الطيب ، وهى من الطويل ، والقافية من المتدارك ، انظر: الديوان : 198

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين، تعليق: أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط2، 2008 م، ج2: 241

([5]) جزء من قوله – تعالى : " لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا

في الخير أو لا ؛ فإنَّه لا يضيع (وعليها ما اكتسبت)، أي: لا تؤاخَذ إلَّا بما اجتهدت في تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي".([1])

يقول أبو البقاء : " يقول : الأسْد ، وهى جمع أسد ، معدودة من البهائم ؛ ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ؛ و أقول : الأسد مثلهم ، و إنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل ؛ إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلَّا بالإقدام ، وهذا البيت مما وقع فيه الناس ؛ فينشدونه : شبهتهم بها ، وهو على الظاهر بيّن ، و إنما أعرب أبو الطيب".([2])

فى البيت السابق يفاخر أبو الطيب بقومه ، مضمِّنًا قوالبه التركيبية وصفهم بالأسد، وتشبيههم بها ، محتاطًا لوصفهم بالجرأة والإقدام ، وأراد تمكين هذا المعنى من الفخر، بأن أورد القالب المصدرى احتقار، الدال على المبالغة فى تنزيههم و الفخر بهم ، وتجنُّبًا لأن يعقد المتلقى مناسبة بينهم وكون الأسد من البهائم ، فجاء القالب المصدر دالًا على استنكارمن سوء الفهم ، وتجنّبًا له ، ومطالبة المتلقى بأن يُباعد بينه وبين هذا الفهم، فأجاد فى إيراد القالب المصدرعلى زنة افتعال ، لتثبيت معنى تباعُدِ قصده عن مضمون القالب المصدرى ؛ فجاء بالمصدر(احتفار)؛ احتياطًا لسوء الفهم ، يُشير سيبويه إلى أنه: قد يُبنى على افتعل ما لا يُراد به شىءٌ من ذلك ، إشارة إلى معانى الثبات وقوة الدلالة وتركزها فى بينة القالب.([3]) ونحو ذلك : قوله :

وَلَابُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ	يَطولُ اسْتِمَاعِى بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ . ([4])

يقول أبو البقاء : " اليوم الأغرُّ:المشهور، وأصله : البياض، والمحجل : استعارة ، وهو من صفات الخيل ، والأغر : صاحب الغرة فى وجهه ، والمحجل: الذى فى يديه ورجليه

تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ . "سورة البقرة ، ٢٨٦/2

([1]) شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ: رضى الدين محمد بن الحسن الاستر اباذى النحوى، مع شرح شـواهده ، للعلامة البغدادى، المتوفى عام 1093 هـ، تحقيق: محمد نورالحسـن وآخرين، (د . ط) دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م، ج1: 110 (بتصرف).

([2]) شرح ديوان أبى الطيب ، للعكبرى ، ج4 : 116

([3]) انظر: الكتاب ، ج4 : 73-74

([4]) البيت من قصيدة لأبى الطيب ، يمدح فيها أبا القاسم طاهربن الحسين العلوى ، انظر: الديوان : 210 -211

بياض، ويكون لونه مخالفًا لها ، يقول : يُريد يومًا مشهورًا ، يتميزعلى غيره من الأيام : بأن تكثرفيه القتلى من أعدائه، ثم يسمع بعدهم صياح النوادب عليهم ، فيطول – حينئذٍ – استماعه للنوادب على الأعداء".([1])

يُريد الشاعر يومًا يظهر فيه على أعدائه ، وأن يكون هذا النصر سرمديًّا ، تملك أصوات النصر كل وجدانه ، وقد احتاط لرغبته فى عدم انقطاع ذلك النصر بالقالب المصدر استماعى ، ليدل على إنشغال سمعه ونفسه بأصوات النصر ، وصراخ القتلى . ونظير ذلك : قوله :

أَمِنَ ازْدِيَارِكَ فِى الدُّجَى الرُّقَبَاءُ	إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ. ([2])

يقول أبو البقاء : " ويُروى : أنت من الظلام ضياءُ . فيكون مبتدأ وخبر ، وعلى الرواية المشهورة : إذ حيث كنت . فيكون (ضياء) ابتداء ، وخبره (حيث) ؛ وتقديره : الضياءُ حيثُ كنتَ مستقرٌ. وهو العامل فى (حيثُ) ، و(إذ) : ظرف للأمن ، تقديره : أمنوا ذلك ؛ إذ كنتِ بهذه الصفة. وقال الواحدى: ضياء : ابتداء ، والخبر: محذوف ، تقديره : ضياءٌ هناك ، و(كان) لا تحتاج إلى خبر، لأنها فى معنى: حصلت أو وقعت ، والازديار: افتعال من الزيارة ، والدُّجى ، والدُّجيَّة : ظلمة الليل ، والرُّقباء : جمع رقيب ، وهو الحافظ الناظر الحارس ، كـ شريف ، وشُرفاء ، وكريم وكُرماء ، وسفيه ، وسُفهاء ، يقول : يُريد أن الرقباء قد أمنوا أن تزورينى ليلًا ؛ لأنك بدل من الضياء فى الليل ، لأن نورك يُزيل الظلمة ، كما يُزيلها نور الصباح ".([3])

وقد سعى لتمكينه لمعنى حرصه على زيادة محبوبته، وتثبيته في نفس المتلقي؛ فاحتاط لذلك بالمجيء بالمصدر(ازديارك)؛ فقال: (أَمِنَ ازْدِيَارَكَ فِى الدُّجَى الرُّقَبَاءُ؟.) جاء بالمصدر ليدل على تكثيف دلالة الضوء فى زيادة محبوبه . ونظير ذلك قوله :

وَاغْتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ	جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالْ .([4])

([1]) انظر: شرح ديوان أبى الطيب ، للعكبرى ، ج1 : 150

([2]) البيت من قصــيدة لأبى الطيب يمدح فيها أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب، وكان يذهب إلى التصوف ، وهى من مقطوع الكامل، انظر: الديوان : 114

([3]) شرح ديوان أبى الطيب ، للعكبرى ، ج1 : 13

([4]) البيت من قصــيدة لأبى الطيب ، يمدح فيها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى ، وهو من بحر الخفيف، والقافية من المتواتر. انظر: الديوان : 115 ، وانظر: شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 191

يقول أبو البقاء : " عطف (اغتفار) على قوله : (قلة الأشكال) فى البيت السابق، والكناية فى (هامهم) ترجع إلى الأعداء المرادة ، بقوله : عيش شانيك . والاغتفار: افتعال من الغفران، من غفر له، و اغتفر؛ يقول : كفاك القتالَ عفوُّك وتجاوزُك؛ ولو غيَّرك السُّخْطُ، دُسْتَ رءوس الأعداء بحو افر خيلك، حتى تصير نعالًا لنعالها ، ونقل أبو البقاء قول أبى الفتح : " لو أحفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم، وأحسن فى كنايته عن الحفيظة ، بقوله : لو غيَّر السُّخْطُ ... وهو لفظ عذبٌ ، تقبله النفوس".([1])

فالشاعر جاء بالمصدر (اغتفار)، والزيادة في المبنى تدل- فى الغالب - على زيادة في المعنى؛ لأنه لمَّا صدَّر خطابه بقالب المصدر، يُريد أنه لم يمكنهم من مضمون المصدر وهو اغتفار فعلهم، بل سيقابلهم بالسخط و الضعة والإهانة ، فاحتاط بالمصدر من وقوع الغفران فى خَلَد أعدائه

إن فى تصرف أبى الطيب ببنية المصدر الخماسى، مما يكون على (افتعال) ما يشكِّل نوعًا من التقابل بين الصياغة اللفظية والبعد النفسى؛ فنفس أبى الطيب دائمة التوليد للمعانى، ومن اللافت أن الصيغة المصدرية(افتعال) تدل على اختزال لقيم دلالية بين عناصرها، لا يُمكن وصف بنيتها المقطعية بالفراغ الدلالى فى أحد أجزائها.

ثانيًا- ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (تَفَعُّل)، بفتح التاء، وفتح الفاء ، مع تشديد العين وضمها ، نحو: قوله:

وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ	وَذَوَ ابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهَدُّدٌ .(2)

يقول سيبويه: " وأمَّا مصدر تَفَعَّلت ، فإنه التَّفَعُّل ، جاءوا فيه بجميع ما جاء في تفعَّل ، وضمُّوا العينَ ؛ لأنه ليس في الكلام اسم على تفعُّل ، ولم يُلحِقوا الياءَ ، فيلتبس بمصدر فعَّلت ، ولا غير الياء ؛ لأنه أكثر من فعَّلت ؛ فجعلوا الزيادة عوضًا عن ذلك ؛ من ذلك قولهم : تكلَّمْتُ تكلُّمًا ، وتقوَّلْت ، تقوُّلًا ".(3)

يقول أبو البقاء : " قوله : هواجل، وما بعده : عطف على (نار حرب) فى البيت الأول، والهواجل : جمع هوجل، وهى : الأرض الواسعة، والصواهل: الخيول، والمناصل: السيوف، والذو ابل: الرماح، والهواجل – أيضًا – النوق، ويجوز أن يُريد بها النوق، قالوا:

([1]) شرح ديوان أبى الطيب ، للعكبرى ، ج3 : 199

(2) البيت من قصـــيدة لأبى الطيب ، يمدح بها شـجـاعًـا بن محمد الطائى المنبجى ، من بحر الكامل.
انظر: الديوان: 42

(3) الكتاب، 79/4.

ليكون أليق بالبيت؛ لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل. يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء المذكورة؛ لمنعتها وعزتها ، وعزة قومها ".([1])

وقد استثمر أبو الطيب رافدين للاحتياط لمعناه : أحدهما : الإعراب، إذ به تتحدد المعانى؛ وعليه يتوقف تمام الدلالة، وكأنه ربط للفكرة بالكلمات، والآخر: إيقاع البناء المقطعى للصيغة المصدرية (توعُّدٌ، وتهدُّدٌ) فى التهويل على من يسمعه وإلهاب نفسه؛ فجعل لكل كلمة إيقاعين، الأول: ذهنى فى ربط المعنى بالكلمات، والثانى: جمالى فنى، تحقق من خلال التناسب الإيقاعى المشكل لبنية المصدر؛ وهذا من شأنه أن يجعل للكلمات وقعًا نفسيًّا مؤثرًا فى ذهن المتلقى، وكأنه محاصرٌ ومُطاردٌ.([2])

وقد فعل هذا؛ ليحقق تناسبًا بين انقسام الصيغة الصرفية إلى مقاطع متدفقة قوية مغلقة من المقطع المتوسط المغلق(ص ح ص)، والتى بدت سيطرته على الصيغتين الصرفيتين، وبين انقسام نفس المتلقى؛ رهبة من قوة ما يرى من الخيول والنوق، مما يوحى بالهجرة والمطاردة ، فكأن تدفق المعنى من خلال تدفق المقطع (ص ح ص) نذيرًا بمتابعة الفرار، حال متابعة الطرق، وقد احتاط به لمعنى الخشونة والقوة. ونحوًا من ذلك : قوله :

عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِى حَلَبٍ	تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ .([3])

يقول أبو البقاء: " اللام فى قوله : (لِمُلَقَّى) لام الأجل ، أى : لأجل خروجه عن حلب ، والأعاصير: جمع إعصار ، وهى الريح تلتف بالغبار ، وتعلو مستطيله ؛ والمقتبل : الذى تناهى شبابُه ، وليس عليه للكبر أثر ، وقال الواحدى : المقتبل : الذى تقبله العيون، وحلب: مدينة معروفة ، ونهر الفرات : نهر كبير معروف ... يقول : إن على الفرات غبرات، تثيرها كتائب سيف الدولة ، وفى حلب دار مستقرة ، ووحشة لملك قد عوَّده الله الظفر على أعدائه، ولقَّاه النصر فى مقاصده ، مقتبلًا فى شبيبته ، متناهيًا فى قوته . وقال الواحدى: على الفرات رياحٌ فيها غُبار ، لمكان جيش أخيك ناصر الدولة؛ وفى حلب وحشة ، لأنك

([1]) شرح ديوان أبى الطيب ، للعكبرى ، ج2 : 330

([2]) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة ، عبد الله محمد الغذامى ، مجلة فصول ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة:100

([3]) البيت من قصيدة لأبى الطيب ، قالها ، حين سار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ، انظر: الديوان : 265

بعدت عنها ، ويُريد بملقى النصر: سيق الدولة ؛ لأنه يلقى النصر، من حيثُ قصد ".[1]

فالشاعر أبو الطيب المتنبى أورد قالب المصدر الدال على التغيُّر والتبدّل، فقال (تَوَحُّشٌ)، احتياطًا للمعنى الذي سعى لتمكينه وتثبيته لدى المتلقي؛ وهو: المفاخرة بقوة جيوش سيف الدولة، وكثرة أعدادهم، وجلبتهم، فيما يثيرونه من الأعاصير، وتوحشهم، التهويل على من يعاديهم احتياطًا من الاستهانة بشأنهم ، فالمجيء بمصدر الخماسي فيه معنى التكلف والاجتهاد، فقد حمل الذات الفاعلة وإرادة ، وإصرارها فى حصولَ الفعل حقيقةً بالتصرف والاجتهاد في تحصيل أصله، فهذا التواتر المقطعى فى المصدر تفعل ، أذاع قوة جيوش سيف الدولة ، وصار معلومًا ، فقوته المصدر الصوتية والمقطعية أصلت دلالة التخويف والإلهاب لنفوس للأعداء، وقد احترزت من الاستهانة بهم .(2)

ثالثًا- ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (تَفَعيل)، بفتح التاء، وسكون الفاء، وكسر العين الممدودة ، نحو قوله :

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً	مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرْفُهَا التَّأْمِيلَا .(3)

يقول سيبويه : " وأما فعَّلت فالمصدر منه على التَّفْعيل ، جعلوا التَّاء التي في أوله ، بدلًا من العين الزائدة في فعَّلت ، وجعلوا الياء بمنزلة ألف الإفعال ، فغيَّروا أولَه ، كما غيروا آخرَه . وذلك قولك : كسَّرته تكسيرًا ، وعذَّبْتُه تَعذيبًا ".(4) ذاكرًا أن مؤلف الكلام عند إرادة التكثير ينتخب تلك القوالب المضعفة ، لاسيما ما كان على (فعَّلت) ، يقول : كما أنك قلت – فى فَعَلْت : فعَّلت ، حين كثَّرْتَ الفعل".[5]

وقد أشار ابن جني إلى " أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل ، فقالوا : كسَّر وقطَّع ، وفتَّح ، وغلَّق ؛ وذلك أنهم لمَّا جعلوا الألفاظَ دليلةَ المعاني؛ فأقوى اللفظ ينبغي أن يُقابَل به قوةُ الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام؛ وذلك لأنها واسطة بينهما ، ومكنوفة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها ".[6]

ويقول :" فلما كانت الأفعال دليلة المعانى كرَّروا أقواها، وجعلوها دليلًا على قوة

([1]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 36

(2) انظر: الفعل في اللغة العربية ، بحث في تولُّد الصيغ و انتظامها، الأزهر الزناد ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2017م: 150.

(3) قاله لصديق له فى صباه ، من بحر الكامل ، والقافية من المتواتر، انظر: الديوان : 19

(4) الكتاب، 79/4

([5]) الكتاب ، ج4 : 83 ، (باب ما تكثّر فيه المصدر من فَعَلْت).

([6]) الخصائص ، ج2 : 102

المعنى المحدث به ؛ وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه فى نحو: صرصر وحقحق دليلًا على تقطيعه؛ لم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام؛ لكراهية التضعيف فى أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجىء فى آخرها ، وهو مكان الحذف، وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل ، فهذا – أيضًا – من مساوقة الصيغة للمعانى".([1])

يقول أبو البقاء : " المعنى : قال أبو الفتح : ما ذكره يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون أهدى إليه شيئًا، كان أهداه إليه صديقه الممدوح، والآخر: أن يكون أراد أنى جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلىَّ؛ وتزوِّدْنيه وقت فر اقك هدية، منى إليك؛ أى : أسألك ألَّا تتكلفه لى ، وقال العروضى - فيما أملاه مما استدركه على ابن جنى: أراد أنك تحب أن تعطينى، فجعلت قبول هديتك إلىَّ هدية منى إليك، لحبك ذاك. وقال الواحدى : وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم ، واشتياقه إليها ؛ وقوله : وظرفها التأميلا . الظرف : وعاء الشىء ...

يقول: جعلت تأميلى مشتملًا على قبول الهدية، كاشتمال الظرف على ما فيه؛ والهدية مختلفة على الأقوال المذكورة؛ فعلى الأول: هدية أهداها الممدوح، فعادت إليه؛ وعلى القول الثانى: أن لا يهدى الممدوح إلى المادح شيئًا، وعلى القول الثالث: أن لا يهدى إلى المتنبى شيئًا؛ فتكون كما لو أهدى إليه لحبه الإهداء للمتنبى".([2])

يُريد أبو الطيب المتنبى أنه لن يقبل تلك الهدية، بل سيكتفى بالتعبير عن قبولها بتأملها، على نحو اشتمال الظرف لما فيه من الهدايا، واحتاط لهذا المعنى بالقالب المصدر(التأميلا) ليدل على عدم قبولها له بالكلية، إنما سيكتفى بالنظر إليها؛ ونحو ذلك: قوله:

يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ	وَيَسْتَغْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ.([3])

يقول أبو البقاء: " قطَّب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوسًا ، يقول : وهو مهيب عند الكُلوح ، وإذا نطق بحرف من لفظه قام مقام الكلام الكثير، يجمع المعانى الكثيرة فى

([1]) الخصائص ، ج2 : 103

([2]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 179

([3]) البيت من قصيدة المتنبى ، يمدح فيها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى المالكى، من الطويل، والقافية من المتواتر انظر: الديوان : 97

الألفاظ القليلة ".[1] فالشاعر يضفى على ممدوحة نوعًا من الجدية، والصرامة، والتأنى فى إخراج الألفاظ، وقد احتاط لهذا المعنى بالقالب المصدرى (تقطيب) الدال على الصورة البصرية للجدية والصرامة، فعبر بعبوس الوجه عن معنى الجدية. وكما قال :

وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمسِ عَيْبٌ	وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالْ.[2]

يقول أبو البقاء: " ومن روى : عيبُ، وفخرٌ، بالرفع ، فقد جعل (ما) تميمية، ومن نصبهما، جعلها حجازية؛ وهى بمعنى : ليس ...

يقول : " رب تأنيث يقصر التذكير عنه، ولا يبلغ مبلغه، ولا ينال موضعه؛ ثم بيَّن ذلك بأن الشمس مؤنثة، والفضل لها، والقمر مذكر؛ وليس يُعدل بها، وقد احتج لتفضيل المرأة على الرجل بحجة، لم يُسبق إليها ، لأنه أراد أن الشمس مؤنثة، وهى النور الذى يزعم بعض الناس أنها تُنير فى السماء، كما تُنير فى الأرض ، ووصف الهلال بالتذكير، وهو كثير التنقل، ويُصيبه المحاق، فجعل ذلك كالنقص فيه ".[3] يُريد أبو الطيّب المتنبى أن يعبِّر عن المبالغة والتكثير فى صفتىْ التذكير والتأنيث، واحتاط لذلك بالقالب المصدرى على زنة (تفعيل) ، حتى لا يُظن بوجود عيب فى التأنيث ، أو فخر فى التكير.

جاء المتنبى بالمصدر (تأميل ، وتقطيب ، وتأنيث ، وتذكير) على زنة (تَفْعيل) من الرباعي ، مما كان على زنة ، فعَّل ، بتضعيف العين ، نحو: (أَمَّل ، وقطَّب ، و أنَّث ، وذكَّر)، والقالب المصدرى(تفعيل) هو صيغة قياسية للفعل (فعَّل)، بتضعيف العين، الدالة على تكثير الفعل والمبالغة فيه، حيث إن تكرير العين ، والتى تمثل جوهر البنية المصدرية، فيه تكرير للمعنى ، وهو جلُّ ما يهم المؤلف والمتلقى، وكأن فى تكرير العين تكريرًا للمعنى الذى تحمله البنية ، بصورتها الكلية، فأتى بقالب المصدر(تفعيل) ليُشير إلى امتلاك بنية المصدر القدرة على إيقاع الحدث ، من دون تراخ أو تباطؤ.

ويُفهم من كلامه أن التدفقات الصوتية للقالب المصدرى (تفعيل) تحمل تدفقات دلالية، وقد تمحورت حول مضمون قضوى مقصود، إذ إن مؤلف الكلام يلزمه زيادة المقاطع الصوتية فى البناء اللفظى؛ إن أراد التكثير فى المعنى، والمبالغة فى الاحتياط له. ولها رافدان؛ أحدهما: كمُن فى التشكيل المقطعى للوحدة اللغوية (تفعيل) ، والآخر:

[1] شرح ديوان أبى الطيب المتنى ، للعكبرى ، ج2 : 285

[2] البيت من قصيدة لأبى الطيب، يمدح فيها سيف الدولة ، وقد عزم على الرحيل إلى أنطاكية ، انظر: الديوان: 257

[3] شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 18

كمُن فى اشتمال القالب المصدر(تفعيل) على حركة طويلة فى المقطع الصوتى 0المتوسط المفتوح (ص ح ح) ، وقد توسط البنية المصدرية، فقد تشكلت بنية القالب المصدر (تفعيل) من مقطعين قويين، مغلقين ، يحملان قوة فى إيقاع الفعل، وتكثيفًا لدلالته. ويُمكن تصوير هذا الأمر على النحو الآتى:

البنية المصدرية	الوزن الصرفى	المقطع الأول	المقطع الثانى	المقطع الثالث	ملاحظات
تَقْطِيبٌ	تَفْعِيلٌ	تَفْـ	عِيـ	لُنْ	فى حالة الوصل
التحليل المقطعى		ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	3 مقاطع
تَقْطِيْ	تتَفْعِيلْ	تَفـْ	عِيلْ	ـــــ	
التحليل المقطعى		ص ح ص	ص ح ح ص	ـــــ	مقطعان

فى حالة الوصل، تخلصت الحركة الطويلة من المقطع الثقيل (ص ح ح ص)، وشكلت الحركة الطويلة جزءًا من بنية الكلمة، مما منحها استطالة فى الصوت والدلالة، فحملت الكلمة معنى وظيفيًا، بالنظر إلى معانى الكلمات الأخرى، ودلَّت على تكثيف الحدث، وكان الحركة الطويلة نابت عن تكرير المعنى، مرة تلو الأخرى، حتى صارت قرينة من قرائن تأكيد المعنى.[1] وعبَّر البناء المقطعى للوحدة (تقطيب) بتشكيله من المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والمقطع الطويلة المغلق(ص ح ح ص) فى حالة الوقف ، عن كثرة الحدث، والمبالغة فى إيقاع الغعل.

<u>رابعًا- ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (اسْتِفْعَال)، نحو : قوله:</u>

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الحِمَامُ عَلَيْهِمُ	فِي ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا .(2)

(1) انظر: الحركة الطويلة فى سورة طه، دراسة وصفية تحليلية ، د : حازم على كمال الدين، ط2 ، مكتبة الآداب، القاهرة : 103 – 107(بتصرف).

(2) البيت من قصيدة لأبى الطيب ، يمدح فيها مساوِرَبن محمد الرومى ، من بحر الكامل. انظر: الديوان : 63

يقول سيبويه : "وأمَّا استَفْعَلْتُ ، فالمصدر عليه الاستِفْعال، وكذلك ما كان على زِنَتِه، يخرج على هذا الوزن، وهذا المثال؛ كما خرج ما كان على مثال افتعلت، وذلك قولك: استخرجتُ استخراجًا، واستصعبتُ استصعابًا، واشهاببتُ اشهببابًا، و اقعنسستُ اقعنساسًا، واجْلوَّذْتُ اجلوَّاذًا ".(1) وهى مصادر تدل على التروى، والطلب، وتجنب المفاجأة.

بل إن ابن جنى ليجعل تصرف المؤلف بإيراد السو ابق Prefixes، من مثل، ألف الوصل، والسين، والتاء، التى تلحق بداية الجذور المعجمية للمادة الصرفية النواة، ثم إيراد المواد المعجمية، الفاء، والعين، واللام، ضربًا من الصنعة الكلامية الجيدة، والحرص على الإحاطة بالمعنى المراد، بدليل أنهم جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر للطلب، نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عَمرًا، واستصرخ جعفرًا ، فرتّبت الحروف – فى هذا الباب- على ترتيب المعانى ... فلما إذا فاجأْتَ الأفعالَ فاجأْتَ أصولَ المُثُل الدالةِ عليها، أو ما جرى مجرى أصولها، نحو: وهب، ومنح، و أكرم، وأحسن...

كذلك إذا أخبرْتَ بأنك سعيتَ فيها، وتسبَّبتَ لها، وجب أن تُقدِّمَ أمامَ حروفها الأصولِ في مُثُلها الدالةِ عليها أحرفًا زائدةً على تلك الأصول؛ تكون كالمقدمة لها، والمؤدِّية لها، وذلك نحوُ استفعل؛ فجاءت الهمزة ، والسين ، والتاء زوائدَ ، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء، والعين، واللام؛ فهذا من اللفظ وَفْقَ المعنى الموجود هناك ، وذلك أن الطلب للفعل، والتماسه، والسعى فيه، والتأتى لوقوعه تقدَّمه، ثم وقعت الإجابة إليه؛ فتبع الفعل السؤال فيه، والتسبب لوقوعه ؛ فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة ، التى وُضعت للالتماس والمسئلة".(2)

يصبح من الجيد الإشارة إلى أنه يرتكز احتياط مؤلف الخطاب لمعناه على قدرته على تحقيق الكفاءة التواصلية لدى العناصر المشاركة فى عملية الاستلزام التحاورى، تلك العملية التواصلية يُكتب لها النجاح حين يتو افرلها ر افدان ، هما : كفاءة الانتخاب والإنتاج ، وكفاءة التفسير والتلقى؛ إذ لا يتوقف أمر هذا النجاح على مجرد الكفاءة اللغوية ، وجودة الأداء، إنما يجاوز ذلك إلى الإحاطة التامة بمحددات الموقف التواصلى، فهمًا ، وصياغةً ،وتجعل من القوالب اللفظية المنتج النهائى فى عملية التواصل ، ويكون

(1) الكتاب، 79/4.

(2) الخصائص، ج2: 102

تاليًا لإدراك الاعتبارات الثقافية ،والاجتماعية ، والنفسية ، والتاريخية ، والسياقية .([1])

من المعلوم أن الطرح التداولى يركز على آليات المتلقى فى تفسير الخطاب الموجه إليه، لذا فهو يستثمر طاقة السياق والقرائن المصاحبة Collacation فى إدراك المحتوى القضوى ، الذى تحمله ضفير العناصر اللفظية ، والإشارية ، ودلالات ما وراء اللغة ، فقد استخدم المتنبى قالب المصدر بوصفه وسيطًا لغويًّا ، بين التصريف والدلالة ، واستطاع - من خلاله - أن يُحقق أمرين ؛ أحدهما تثبيت دلالة القوالب اللغوية ، وهو المعنى المراد الاحتياط له ، وتمكينه لدى المتلقى ، والآخر أن يجعل ذهنية متلقيه – فكرًا ووجدانًا- متمركزة حول هذا المعنى المراد، لا تنفك عنه ، إنما تُدفع إلى التفاعل معه ، ومتابعته، و اتخاذ آليات متعددة فى كيفية تفسيره، وقراءته ومن ثَمَّ الافتناع به، مما يدفع إلى تعظيم حضور المتلقى فى عملية إنتاج الخطاب ، بر افديه اللفظى والإشارى ، بدءًا من الفعل الكلامى المضمن فى القول ، وصولًا إلى المردود الفعلى أو السلوكى للفعل المنجز والمؤثِّر، ولعل هذا هو جوهر الطرح التداولى.

ويكون مجىء أبى الطيب بقالب المصدر (استحواذ) فيه طلب لإحداث فعل التملك، حيث عبَّر المصدر (استحواذ)(استفعال) على أن مؤلف الكلام قد أتم معناه ، فى تعبيره عن إحاطة الموت ، واستحواذه على ذات المتكلم ، وتمكنه منها ، وهذا ما احتاط الشاعر له، وفيه تمكين للمعنى ، يقول أبو البقاء: " الضنك : الضيق ، واستحوذ : استولى ؛ يقول: فعلتُ بهم ما فعلتُ فى معركةٍ ضيِّقة ، وقف الموتُ عليهم ؛ فحبستهم فى ضيقها ، وغلبتُهم، وقتلتُهم جميعًا ".([2])

حين ندقِّق النظر فى البناء المقطعى للمصدر غير الثلاثى (استحواذًا)(استفعال) نجد أن ذات الشاعر المقيَّدة بالإيقاعات المقطعية ، صارت تترقب إيقاع الحدث من خلال القالب المصدرى، وتحاول أن تجعل من المقاطع الصوتية (اسْ)(ص ح ص) /(تِحْ)(ص ح ص) /(وَا) (ص ح ح) /(ذَنْ) (ص ح ص) الثقيلة دليلًا على دخول الذات فى عناصر الحدث، وقد أحسن المتنبى فى التعبير عن ثقل ذاته ، وتقيُّد نفسه ؛ بما يناسب ذلك من المقاطع الثقيلة، من جنس المقاطع الصوتية المتوسطة المغلقة، فى حين شكل المقطع المتوسط المفتوح نافذة صوتية دلالية، عكست رغبة تلك النفس فى التحرُّر من قيود

([1]) انظر: التحليل التداولى للغة (المنهج والتطبيق) ، د : ليلة يوســف حميد يوســف ، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج ، العدد الرابع والأربعون ، الجزء الثانى ، يوليو (2017م) : 45 - 46

([2]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج2 : 82

التملك. ونظير ذلك قوله :

وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرَّوْ	(م) عِ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامُ.[1]

يقول أبو البقاء : " موطنات : مسكنات، والروع : الحرب، ولم يُرد الفرع، والاقتحام: الدخول في الحرب، والاستسلام : طلب الصلح، يقول : وهم شجعان، يقتحمون الموت؛ وقد عوَّدوا أنفسهم الإقدام ، فكأنهم لاسترسالهم و انبساطهم على الحرب؛ يطلبون الصلح والسلم".[2] يُشير أبو الطيب إلى معنى تمكُّن الضعف من نفوس من يهجوهم ، وقد احتاط لهذا المعنى بقالب المصدر(استسلام) لما فيه من دليل على تمكن الضعف والرجاء منهم ، دفعًا لتوهم اتصافهم بالشجاعة ، حين قال : اقتحامها.

خامسًا : ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطًا للمعنى بقالب المصدر (تفاعُل) ، من تَفَاعَل ، التي مصدرها تَفَاعُل ، بضم العين، نحو: قوله: من بحر الو افر:

أَحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أَحَادِ	لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ .(3)

يقول سيبويه : " أما تفاعلتُ؛ فالمصدر التفاعُل، كما أن التفعُّل مصدر تفعَّلْت، لأن الزنة، وعدة الحروف واحدة، وتفاعلت من فاعلت، بمنزلة، تفعَّلْت من فعَّلْت، وضمُّوا العين لئلَّا يُشبه الجمع، ولم يفتحوه ؛ لأنه ليس في الكلام تَفَاعَلٌ في الأسماء".[4]

يصير من الجيد التنبيه إلى أنه يتصل بقوة القالب المصدري في الاحتياط للمعنى أن جمعه المتنبي – في هذا الموضع - بصنوه من قالب التصغير ،الدال على التحقير، ويبدو أنها كانت عنده سبيلًا للتعبير عن سماته الشخصية، أو مفاجأة عقلية المتلقي بإيراد المتناقضات النفسية ،فتارة يستخدم قالب المصدر الدال على القوة والتدفق، وأخرى يستخدم قوالب التصغير الدال على التحقير، وتقليل الشأن.

وقد احتاط أبو الطيب بالصورة الصرفية(تَفَاعِل)، ليُشير إلى معنى انقسام نفسه، فأشار إلى طول ليلته، بما يناسبها من الألفاظ، وكانت الصورة البصرية – في هذا الشاهد- لهذا المعنى في كلمة (التناد)، التي يتوسطها صوت لين، يسمح امتداده الصوتي بامتداد المعنى النفسي، فالمتلقي لا يبرح ذلك المعنى، حتى ينقطع امتداد صوت الألف، مما يكشف

---

[1] البيت من قصيدة لأبي الطيب، يمدح فيها عليَّ بن أحمد المريّ الخراساني، من الخفيف، والقافية في المتدارك. انظر: شرح ديوان أبي الطيب، للعكبري ، ج4 : 92

[2] شرح ديوان أبي الطيب ، للعكبري ، ج4 : 98

(3) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح فيها عليَّ بن إبراهيم التنوخي ، انظر: الديوان : 76

[4] الكتاب ، ج4 : 81

للمتلقى عن توتر نفسى، جسد امتداده ألف اللين، فاحتاط إلى معنى أن طالت ليلته من دون انتهاء بقالب المصدر التناد الدال على البعد والامتداد الصوتى والدلالى، وكانت صيغة المنازعة (تفاعل)، مما عكس تصارعًا وتفاعلًا بين نفس المتنبى وما يحيط به من أشياء ، مع تنكيرها ، لتشمل الأشخاص، و الأشياء المادية و المعنوية.

على كل حال بدا استعمال المتنبى للقالب المصدرى (التناد) رغبة فى إظهار بعد ذاته وسموق نفسه ، ليظهر تعاليه على الناس ، يقول أبو البقاء : " قوله : آحاد ، يُريد : أآحاد؟. فحذف همزة الاستفهام ، وليس هو بالفصيح، و إنما يقع فى الشعر ضرورة، ولا يُقال : زيدٌ أبوك أم عمرو؟. وقوله : بالتناد ، يُريد : يوم التناد ؛ فحذف، والباء معلقة بمعنى المنوطة؛ والمنوطة : المتعلقة، ويوم التناد : يوم القيامة؛ لأن النداء يكثر فيه .

قال الواحدى : قد أكثروا فى معنى هذا البيت، ولم يأتوا ببيان مفيد، ولو حكيت ما فيه لطال الكلام؛ ولكن أذكر ما و افق اللفظ من المعنى؛ وهو أنه أراد : واحدة، أم ست فى واحدة، وست فى واحدة؛ إذا جعلتها فيها كالشىء فى الظرف، ولم يُرد الضرب الحسابى، وخصَّ هذا العدد؛ لأنه أراد ليالى الأسبوع، وجعلها اسمًا لليالى الدهر كلها ، لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر من الدهر، فكأنه يقول : هذه الليلة واحدة، أم ليالى الدهر كلها اجتمعت فى هذه الليلة حتى طالت، فامتدت إلى يوم القيامة، وقوله : لُيَيْلتنا، للتحقير، فهى تحقير، وتعظيم ، وتكبير... وعلى هذا استطال الليلة، حتى عزم فى صباحها على الحرب، شوقًا إلى ما عزم عليه؛ و إنما حقَّر لليلة ؛ لعظم طولها".([1]) فهو يُريد تمكين معنى طول ليلته، فاحتاط لذلك بقالب مصدرى متنقل بين المقاطع الصوتية ، به حركة طويلة، ناسب بين طولها وامتدادها، بطول ليلته، وامتداد انفعاله وشعوره بالبُعد.

<u>سادسًا : ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر (انفعال) من : انفعل ، مصدره انفعال ، قوله:</u>

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا	(م)ءِ وَ الْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ .(2)

يقول أبو البقاء: " حبل الوريد: هو عرق فى العنق ، متصل بالفؤاد، إذا انقطع، مات الإنسان، والمعنى: يقول : دعوتك يا مالك رقى، لما انقطع الرجاء من غيرك، وقرب منى الموت، فكان أقرب إلىَّ من حبل الوريد ، وهذه مبالغة".([3]) حيث إن قوله: (انقطاع)

([1]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 353

(2) البيت من قصيدة لأبى الطيب المتنبى ، قالها فى محبسه ، عندما وشى به قومٌ إلى السلطان ، فحبسه ، من بحر المتقارب ، بكتبها إليه من المحبس ، انظر: الديوان : 48

([3]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 346

احتياط لمعنى انعقاد الأمل والرجاء فى الممدوح، والهجر واليأس من غيره ، واحتراس من كون الأمر بابًا للسخرية، لاقتراب الموت، ومن ذلك : قوله :

قَشِمْ فِى الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمُرَجَّى	فَأَمْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ انْسِكَابَا .([1])

يقول أبو البقاء :" المعنى : يُريد أن السحاب أمسك عن الانسكاب، لئلَّا يخجل من جوده ، لتقصيره عنه".([2]) فقوله : (انسكابًا) تمكين لمعنى ما كان يحياه من رغد، وانهمار للمطر الجالب للخير، وهو احتياط لما أراده من طلب الوصال ، فهو يُشير إلى انتقاله من حال الرغد إلى حال.

<u>سابعًا : ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة: (افعلال)،</u> بكسر الهمزة ، وسكون العين: ونظير ذلك، قوله، يمدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز بن الرضا بن المضاء الطائى المنبجى:

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ اِصْفِرَارِى : مَنْ بِهِ؟.	وَتَنَهَّدَتْ ، فَأَجَبْتُهَا الْمُتَنَهِّدُ.([3])

يقول أبو البقاء :" التنهُّد : شدة التنفس والزفرات ، والمعنى: يقول : لما رأت تغيُّر وجهى واصفراره؛ قالت: من به؟ أى: من قتله؟ أو من فعل به هذا الذى أراه؟. ثم تنهدت؛ فعلا صدرها، لشدة تنفسها، وزفرت استعظامًا لما رأت، فأجبتها عن سؤالها، المتنهد، المطالب بقتلى، أو الفاعل بى هذا".([4])

يُريد المتنبى أن يُبرز تعجب محبوبته من رؤيته مريضًا ، فاحتاط لذلك المعنى أن أورد القالب المصدرى اصفرار، بتكرير اللام، التى ناسبت ضعفه، إذ إن إلحاق التكرير بآخر القالب يُشير إلى الضعف، وغياب الحياة والنضرة، حتى إنه عقد مناسبة دلالية، اعتمدت على مراعاة النظير، بين الاصفرار والمتنهد، مبالغة فى الإشارة إلى الذبول والضعف ، <u>ونحوًا من ذلك : قوله :</u>

وَخُضْرَةَ ثَوْبِ الْعِيسِ فِى الْخُضْرَةِ الَّتِى	أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِى مَدْرَجِ النَّمْلِ.([5])

([1]) البيت من قصيدة لأبى الطيب المتنبى ، قالها وقد نظر إلى السحاب ، انظر: الديوان : 202

([2]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 146

([3]) البيت من بحر الكامل ، انظر: الديوان : 42

([4]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج1 : 328

([5]) والبيت فى شـرح العكبرى ، برواية الرفع فى خضـرة ، والعيش ، بدلًا من العيس ، ولعل هذا من التحريف ، والبيت من قصيدة لأبى الطيب ، قالها فى صباه ، من الطويل ، والقافية من المتواتر، انظر: الديوان : 7

يقول أبو البقاء :" خضرة ثوب العيش: مستعارة من خضرة النبات، والنبات إذا كان أخضر، كان رطبًا ناعمًا ، ويُحمد من السيف ما كان مُشربًا خضرة، واحمرار الموت : شدته، وموت أحمر: أى : شديد، وأصله من القتل، وجريان الدم، ومدرج النمل: مَدَبُّه، وهو حيث درج فيه بقوائمه؛ فأثَّر آثارًا دقيقة؛ والمعنى: جعل النصل مدرج النمل، لما فيه من آثار الفرند، فيقول: طيب العيش فى السيف، أى : فى استعماله والضرب به ".([1])

يُريد المتنبى أن يبرز أن طيب العيش فى استعمال السيف، والقتال به، واحتاط لهذا المعنى بقالب المصدر (احمرار) بوصفه ناتجًا عن استعمال آلة السيف، وأن سبب فى أن تسيل دماء القتلى، ووجاء بالمصدر على زنة افعلال، بتكرير اللام، ليدل على تكرير الفعل وقوته.

تاسعًا : ما أورده أبو الطيب المتنبى احتياطًا للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (مفاعلة)، بضم الميم ،فتح الفاء الممدودة ، وفتح العين و اللام ، نحو: قوله :

كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِى وَائِلٍ	مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ.([2])

يقول سيبويه : " وأما فاعلتُ فإن المصدر منه ، الذى لا ينكسر أبدًا مُفاعلة ، وجعلوا الميم عوضًا من الألف التى بعد أول حرف منه ، والهاء عوض من الألف التى قبل آخر حرف ، وذلك قولك : جالستُه مُجَالسة ، وقاعدتُه مقاعدة ، وشاربتُه مشاربة ، وجاء كالمفعول ؛ لأن المصدر مفعول".([3])

يقول أبو البقاء: " يقول : كنا بعد أسره فى ظُلمة ، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله، ووائل مشتق من وأل : إذا نجا؛ ووائل منوّن، فلا يُظَنّ أن البيت مصرَّع".([4])

وكذلك : قوله فى صباه :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ	لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا .([5])

يقول أبو البقاء : " (لها) هى الفاعلة، والمعنى : وجدت لهوات المنايا، وجمع السبل؛

([1]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 160

([2]) البيت من قصيدة، يذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داوود من الأسر، من المتقارب، والقافية من المتدارك، انظر: الديوان : 260

([3]) الكتاب ، ج4 : 80

([4]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 24

([5]) البيت من قصيدة، يمدح فيها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكِلابيّ المنبجيّ، وهى مما قاله فى صباه، من البسيط ، والقافية من المتراكب، انظر: الديوان : 10

لأنه أراد صحة المعنى ، لأن فراق الحبيب يُوجد للمنية سبيلًا ؛ مباينة للسبل التى جرت عادة المنية به، وذلك أن فر اقه إنما يكون فى الأغلب مع الهجر، والمنية تدرك به عن طريق العشق وطريق الفراق، وطريق الشوق، وطريق العجز طرقًا شتى، فلذلك استعمل الجمع ... والمعنى : يُريد : لولا الفراق لما كان للمنية طريق إلى الأرواح، و إنما توسلت إليها بطريق فراق الأحباب".([1])

فقد استثمر المتنبى الدلالة الصوتية لألف اللين، من المصدر(مفارقة) فى الشطر الأول، على زنة مفاعلة، فقد مطَّها؛ بهدف الكشف عن رغبته فى الحياة و إقباله عليها، رابطًا بين إشباع الحركة وطولها، وقصديته فى إبرازرغبته فى أن يعيش مليًّا .

وكأنه بذلك يتخذ من وجود الأحباب سبيلًا لأن ينجو من الموت، بيد أنه يقرُّبأنه حين انتخب المصدر الرباعى(مفارقة) كان مدركًا لأنه يحمل بين عناصره الصوتية دليل المنازعة والتغالب، وهى ألف مفاعلة ، أو ما يُمكن أن نُسميه : الألف الطويلة ([2])، الجامعة بين الرغبة والمنازعة، بين اللهفة والبطء. ومن أول ما قاله فى الصِّبا :

كَفَى بِجِسْمِى نُحُولًا أَنَّنِى رَجُلٌ	لَوْلَا مُخَاطَبَتِى إِيَّاك لَمْ تَرَنِ .([3])

يقول أبو البقاء:" والتقدير: كفى بجسمى نحولًا انتفاء رؤيتى؛ لولا وجود مخاطبتى، والمعنى: يقول : قد بلغ فى النحول الغاية، وكفى أننى رجل لولا كلامى لم يقع ناظر العائد علىَّ، إنما يستدل العائد علىَّ بصوتى ".([4]) يوضح المتنبى حالة النحول والضعف التى أصابته، وقد احتاط لهذا المعنى بالقالب المصدر(مخاطبتى) (مفاعلة) الدالة على المنازعة والضعف ، وبدأ بالميم الزائدة ، ليمهد لرجائه ، وتمكين ضعفه.

●تعقيـب على المحور الثانى :

جاءت المصادر غير الثلاثية بصورة أكثر تكثيفًا ؛ حتى تكون دليلًا لغويًّا ، لتناسب

([1]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج3 : 163

([2]) انظر: من أصول الشعر العربى القديم ، الأغراض والموسقى (دراسة نصية) ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، مجلة فصــول ، (تر اثنا الشــعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، يناير/فبراير/مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 40

([3]) والبيت فى رواية العكبرى بإثبات الياء ، من الفعل ترنى ، رغم ما ســبقه من الجازم ، ولعل ذلك مراعاة لحرف الخروج القائم على إشـباع الحركة ومطلها ، والبيت من قصـيدة لأبى الطيب ، قالها فى صباه، فى المكتب، من البسيط ، والقافية من المتراكب، انظر: الديوان : 2

([4]) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ، للعكبرى ، ج4 : 187 - 188

طبيعة المتنبى ، وتسعفه ، ليؤكد غزارة فكره ، وسموق أسلوبه ، وقوة منطقه ، وفى بيان قدرته على تطويع المعانى ، واستدعاء المبانى ؛ رغبة منه فى إزكاء نفسه ، و إبراز خطورته ، لذا فإن المتنبى عمد إلى اختيار القوالب المصدرية ، التى تتفق مع تلك الغايات النفسية فى المقام الأول .

على هذا الأساس صاغ المتنبى منجزه الشعرى كلَّه، وجعل قوامه حق المؤلف، وحق المتلقى، ومثَّل حق المؤلف فى التعبير، والانتخاب، والتصديق, وحق المتلقى فى عدم الحجر على رؤيته، وأن يكون النص منفتحًا أمامه على مصراعيه، يسلط أفق انتظاره، ومزاجه النفسى فى كل قراءة (تقلبات النفس وتحركها بين الانفعالات المتعددة) – بوصف عملية القراءة كيانًا متقلبًا، يخضع للسياق، ويستعصى على الثبات ، ولا ينحبس فى أفق انتظار أوحد - وفى توجيه كل تفسير، وإذا حاول الباحث الناقد اختيار المنجز الشعرى للمتنبى؛ فإنه ينبغى الإشارة إلى أن هذا المنجز الشعرى للمتنبى لم يقصر عن تحقيق هذه الغايات، ولم ينحرف عن تأكيدها.

إن المتأمل لبنية الصيغ المصدرية بنوعيها الثلاثى وغيره ، فى شعر أبى الطيب ؛ ليُدرك – إن أراد دلالة إحصائية- أنه يواجه أنواعًا من التقابل بين الصورة البصرية للقالب اللغوى ، ودقتها فى الدلالة على المعنى المُراد منها ؛ لا تكاد ذهنية المتلقى تبرح المعنى ، من خلال تصوير المعانى الجزئية التى يُريدها أبو الطيب، فى تلاحم بين السطح والعمق ، بعيدًا عن العفوية والسذاجة ، فقد عبَّرت قوالبه اللفظية عمَّا يصحُّ أن نسميه : اتصال اللغة بالنفس.

بل إنه يُمكن للباحث أن يقول : لقد امتلك المتنبى زمام اللغة، واستثمر طاقاتها أيَّما استثمار، فعرف كيف ينتخب قوالبه اللغوية، وأدرك كيفية مخاطبة المتلقى، عبر إلمامه بالمحددات الثقافية لشخصية من يخاطبه، فحين تظن سذاجة فى انتخاباته اللفظية، تلفها ضروبًا من الحيوية والعمق، فما أجمل أن يكون الشعر على قدر البقاع !.([1]) مفرِّقًا بين اللغة الاجتماعية واللغة الفردية.([2])

<u>الخاتمـــــة :</u>

فى نهاية البحث يحسُن القول : لقد رام هذا البحث معالجة آلية انتخاب المتنبى - فى

([1]) انظر: ظواهر أسـلوبية فى شـعر المتنبى، عبده بدوى، مجلة فصـول، المجلد الرابع، العدد الثانى، يناير/فبراير/مارس، 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة : 195

([2]) انظر: مفهوم اللغة عند البنيويين ، دراسة تحليلية : 127

منجزه الشعرى- لقالب المصدر، بوصفه قالبًا لغويًّا، أو وحدة صرفية دلالية، صورة كلامية من صور الاحتياط الصرفى للمعنى ، وقد ارتكزت تلك المعالجة على أسس التباين الدلالى للأفعال الكلامية، وأن القوالب اللغوية - والصرفية خاصة- تحمل أبعادًا تداوليًّا ، تقوم عمليات إدراك القصد فيها ، على العلاقة بين المؤلف والمتلقى بصورة مباشرة ، ثم تأتى محددات الاستعمال ، والمواضعة ، والذيوع ، والبيئة الخطابية(سياق القصد).

يُلاحظ - من محاولة تتبع الحركة الدلالية للقوالب المصدرية فى شعر أبى الطيب - أنه - حين لجأ إلى استخدام القوالب المصدرية فى لغته الشاعرة - كان يهدف إلى سدِّ فجوة دلالية، ذات مرجعية انفعالية من دواخل نفسه؛؛ قوامها افتراضه الضمنى، الذى أسسه على خلفية من إدراكه للعلاقة المعنوية بين عناصر الموقف الحوارى، فى عملية استلزام تخاطبى منفذة وناجحة ، تلك الفجوة الدلالية تقوم على ادعائه أو ظنه وجودَ نقص فى إدراك المتلقى لمختلف أبعاد المعنى المُرسل له، فألزم نفسه بأن يقدِّم له معونات لفظية، تسعفه ليسد هذا النقص، أو تكون تلك الفجوة مستندة إلى توقع – المؤلف- غياب بعض التفاصيل العقلية أو الوجدانية المرتبطة بالحالة المُراد دفعها إلى المتلقى، أو دفعه إليها، فأوجب على نفسه أن يُراعى أفق انتظاره.

فقد كثَّف المتنبى من بنية المصدر رغبة منه فى تجنيب المتلقى فيوض الاحتمالات الدلالية، واختلاطها، بل تناقضها فى كثير من الأحيان، بالإضافة إلى المناقشات الذهنية والعاطفية ، وما من شأنه كد الذهن، و إفشال عملية الاستلزام التحاورى، و أقام ذلك على علاقة عرفية بين أفق انتظار المتلقى ، والدلالات الصرفية، واللغوية، والاجتماعية، لقالب المصدر، فأعانه – بذلك- على الدخول نحو المعنى المُراد بصورة مباشرة.

جاءت القوالب اللفظية فى المنجز الكلامى لأبى الطيب كاشفة لذاته، وثائرة على كل ما يُحيط بها من أشخاص وأشياء، إذ إن الاحتياط للمعنى لم يكن بالعمل الاعتباطى، ولا التصرف العبثى، إنما استثمر أبو الطيب المتنبى الدلالة المعجمية والتركيبية والمقطعية المشكِّلة لعناصر قالب المصدر الصريح، مستندًا فى ذلك إلى أن كل اختلاف فى صورة القالب اللفظى ن يتبعه – بلا شك – اختلاف فى المعنى الذى يحمله ، ويعبِّر عنه . وتتضمن الخاتمة ما يلى :

أولًا : أهم النتائج : يستطيع الباحث أن يخلص – فى ضوء العرض السابق- إلى ما يلى:

- تدل النظرة العجلى - لقوالب المصدر بنوعيه فى شعر المتنى-على أنه قد أحسن

توظيفها لخدمة أبعاد شخصية، واجتماعية؛ فبدت نسب ورود قالب المصادر القياسية والسماعية طاغية فى معظم جمله وقصائده، وجسدت أبعادًا متعددة ، تمثلت فى إبراز نرجسيته، وتناقض ذاته، فهو يستميل، ويتعالى؛ فعندما يبدو واضحًا، سريعًا ما يكون غامضًا مغاليًا فى ذلك .

●تُثبت المقاربة الإحصائية – من خلال الاستقراء الناقص- بين المحددات الكمية للقوالب اللغوية من جنس القوالب المصدرية - فى المنجز الشعرى لأبى الطيب المتنبى - وبين القيم الدلالية والمعانى السطحية والمضمَّنة فيها ، والتى احتاط لها ؛ أنه استطاع – بقصد- أن يعقد صلة نفسه بمعانيه التى أوردها ؛ وأن كل انتخاب مصدرى أُحتيط له ، كان مناسبًا لمواقفه النفسية من مختلف الحادثات؛ حين صنع ضفيرة متشابكة المفردات بين قوالب المصدرومعانيها.

●يحرص أبو الطيب - من خلال قوالبه اللغوية عامة ، والمصدرية منها بصورة خاصة- على تقديم نفسه ، وتجسيد عواطفه ، مضمرًا تصارعًا داخل نفسه ، فجاءت قوالبه عاكسة لمواقفه إزاء ما يحدث ، أويشعر، أويُريد إيصاله لمتلقيه.

●يبدو أن لقالب المصدر الصريح وظيفة تعبيرية إيجابية، صاربها انتخاب المتنبى لها أداة تواصل لاستلزام حوارى منجز وناجح ، استعان المتلقى من خلال تحليلها إلى الوصول إلى المعنى المُحتاط له.

●وُصفت آلية احتياط الصرفى للمعنى - من خلال قالب المصدر الصريح- بأنه هذا التصرف تصرف قوى من جانب مؤلف الكلام ، راعى فيه المؤلف طاقة التلقى ، بين سطحية الدلالة وعمقها ، فى ضوء من نظرية السلاسل الدلالية .

●بدأ بالميم الزيادة فى قالب المصدر، مما جاء على زنة : مَفْعِل ، ومِفْعَل ، بالإضافة إلى الألف ، والسين ، والتاء فى قالب المصدر ممَّا جاء على صيغة استفعال ، بوصفها ممهدات دلالية ، تُشير إلى قصدية المؤلف التمهيد لمعناه، وتمنح القالب الصرفى قوة فى القالب والمعنى.

●دلَّ ورود قالب المصدر فيما جاء على زنة فَعَالة على احتياط المؤلف لدلالة التخصيص ، وتضيق الدلالة وحصرها ، لاسيما حين ألحقها بمورفيم لاحقة Suffixe تاء التأنيث المربوطة ، الدالة على التكثيروالمبالغة فى إيقاع الفعل ، وتخصيصه.

●دلَّت قوالب المصدرمما توسطه حرف لين ، مما جاء على زنة : تفعيل ، أوتفاعل، أوافعنلال، أومفاعلة على امتداد المعنى المُراد ، وجسد امتداد الصوت استحضار المتلقى

للمعنى ، وزيادة مدة بقائه فى فكره ، حتى ينقطع صوت اللين.

●رُصدت فى شعر المتنبى قوالب مصدرية على زنة افعنلال، بتكرير اللام رغبة من المؤلف للاحتياط بتكرير المعنى.

●جسَّد قالب المصدر مما جاء على تفعُّل، قوة الدلالة، الناجمة عن قوة اللفظ لقوة المعنى المتدفق من توالى المقاطع الصوتية المتناسبة والمتتابعة، لاسيما المقطع المتوسط المغلق(ص ح ص).

●يُرجَّح – من خلال المقاربة الإحصائية ، ونسب الورود التقريبية ، بغض الطرف عن لغة الأعداد والأرقام ذات القيم الدلالية والفروق الإحصائية ، فقد تشكِّل نسبة ورود قالب المصدر الصريح ، من خلال الاستقصاء الناقص نسبة 30% ، من جملة قوالب الأفعال الكلامية المختلفة - حضورُ قالب المصدر بصورة طاغية ، تلفت انتباه المتعرض لدراستها ، وتشير إلى لجوء المتنبى – عن قصد- إلى قالب المصدر الصريح ، بوصفه فعلًا كلاميًّا منجزًا ، وحوَّله إلى فعل مؤثِّر، أدرك قيمته الدلالية ، من خلال الموقع Slot والفئة فى الإحاطة بمعناه الذى يقصده المؤلف.

●شكَّل قالب المصدر ، مما على زنة (إفْعال) ، والمأخوذ من فعل التكلم (أَفْعَل) القالب الأكثر استخدامًا، وقد عبَّر به أبو الطيب عن الاعتداد بذاته ، وسمو نفسه ، فى حين شكلت القوالب المصدرية المنتهية بلاحقة مورفيم تاء التأنيث القالب الأقل استخدامًا ، لأنها حملت وظيفية تعبيرية سلبية ، تناقضت مع احتياط المتنبى لقصدية الشمول .

●شكَّل قالب المصدرالصريح- فى الخطاب الشعرى لدى المتنبى- فعلًا Action كلاميًّا مباشرًا وتداوليًّا ، وآلية لغوية عقد بها المؤلف لُحمة نفسية ودلالية ، وحقَّق بها تأثيرًا مباشرًا بينه وبين متلقيه.

●أعانت بنية المصدر الصريح فى الاحتياط للمعنى المركزى للخطاب، حيث مكَّنت ذهن المتلقى من الوصول إلى القصد المركزى لمؤلف الكلام، أوعلى الأقل أعانته فى ترجيح معنى معين ، من باب المقاربة ، والتوقع.

●أجاد أبو الطيب فى انتخابه قوالب المصدر الصريح ، وفى تكثيفه منها عن سائر قوالب الأفعال الكلامية ، لإدراكه ما تتسم به من قدرة صوتية ومقطعية ، وقيَم تداولية، فى الاحتياط للمعنى. وقد تجلَّت دلائل قوة قالب المصدر الصريح للاحتياط للمعنى فى استثمار المتنبى للطاقات الصوتية و الدلالية والتداولية للسو ابق ، ومورفيمات الحشو

واللواحق ، من جنس الميم الزائدة ، أوالألف والسين ، والتاء ، أوزيادة النون ، أو الامتداد الصوتى لأحرف اللين ، أوزيادة التاء فى أول القالب المصدرى، فى تقوية المعنى، واستحضار مفرداته.

•كان لسياق القصد الدور الحاسم فى الكشف عن المعنى المضمن من وراء قالب المصدر الصريح ، وفى هذا الموضع Position تحول هذا القالب إلى أداة تواصلية ، حملت وظيفة تعبيرية ، يصح أن نصفها بما يحقق لذة المراوغ ؛ جمع فيها المتلقى بين القوة الدلالية ، والمناسبة الوظيفية ، وخصوصية التوجيه.

ثانيًا : أهم التوصيات ، والتى من أهمها ما يلى :

-ضرورة عقد دراسات وبحوث مستقلة حول العلاقة المطَّردة بين البعد النفسى ، والصورة البصرية للقوالب اللغوية .

-دراسة أثر السياقات المختلفة فى احتياط مؤلف الكلام لقصده أو لمعناه.

-إفراد بحوث ودراسات لصور المصادر السماعية ، فى شعر ابى الطيب المتنبى ، و إبراز القيم الدلالية والنفسية لها ، لاسيما : المصدر الذى يأتى على زنة اسم الفاعل ، واسم المفعول .

-عقد بحوث تطبيقية حول التراكيب والتعبيرات اللغوية والسياقية ، التى تؤيِّد اتصال مؤلف الكلام بصوت النفس أكثر من خضوعه والتزامه المعيارية اللغوية.

-إجراء بحوث ودراسات مستقلَّة ومفصَّلة حول القيم الدلالية الناتجة عن المقاربات الإحصائية ، من خلال نسب الورود ، وطغيان قالب كلامى على غيره من القوالب الكلامية المختلفة ، فى شعر المتنبى وغيره.

وبعـــدُ .

فآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، إنه – تعالى- هو الهادى إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. آليات الاحتياط الصـــوتى والصـــرفى فى قراءة حمزة للدكتورة : تهاني فيصـــل علي البنيان ، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف ،مجلة الجامعة العراقية ، العدد 49.
2. الاتساع (دراسة تحليلية) د: سهير أحمد محمد أحمد، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد(26)، الجزء الأول، مارس 2003م .
3. أصول النحو، دراسة فى فكر الأنبارى ، د : محمد سالم صالح ، ط1 ، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 1427هـ/2006م.

4. الأصول في النحو، لابن السراج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، العراق ، ط 1973م.
5. الأفعال الكلامية فى التحليل النحوى للنص القرآنى عند أبى حيَّان فى البحر المحيط، محمد محمود فراج حسانين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس (2016م).
6. أمثال المتنبى وحياته ، بين الألم والأمل ، وقطع مختارة من شعر المتنبى ، أحمد سعيد البغدادى ، ط1 ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، 1351هـ /1932م.
7. البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة ، 2009م
8. التحليل التداولى للغة (المنهج والتطبيق) ، د : ليلة يوسف حميد يوسف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الرابع و الأربعون ، الجزء الثانى ، يوليو (2017م).
9. التداولية ، مقاصد وآداب ، د : صبرى إبراهيم السيد ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1440هـ/2019م .
10. التشابه اللفظى فى القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، د : عاطف حسن عبد اللاه عبد الواحد ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس /2016م
11. تشكيل المعنى الشعرى ونماذج من القديم ، عبد القادر الربَّاعى ، مجلة فصول ، (تراثنا الشعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، يناير/فبراير/ مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
12. التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط4 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م
13. الحركة الطويلة فى سورة طه ، دراسة وصفية تحليلية ، د : حازم على كمال الدين ، ط2 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،(د.ت).
14. الخصائص ، لابن جنى ، تحقيق : عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، (د. ط) ، 1418هـ
15. دراسات في الصرف والمصطلح اللغوي، الروابدة، محمد أمين أحمد، مكتبة الرشد، الأحساء، ط1، 2014م

16.دراسة الخطاب الحجاجى من منظور الجدل التداولى ، د : أحمد عبد الحميد عبد الحميد ، مجلة عالم الفكر ، العدد: 182 ، أبريل - يونيو ، 2020م ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.

17.دقائق التصريف، ابن المؤدب، أبو القاسم بن محمد بن سعيد، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق ، ط1، 2004م.

18.ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمي : بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه و صححه ووضع فهارسه ، مصطفي السقا ، و إبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ؛ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.(د .ت).

19.ديوان المتنبي ، لأبي الطيب المتنبي ، تحقيق ، لجنة التأليف والترجمة ، صححها ، وقارن نسخها ، وتعليقاتها ، د : عبد الوهاب عزام ، تنسيق و فهرسة ، د : الشويحي ، نسخة : pdf

20.شرح التسهيل ، المسمى : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، جمال الدين ، محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائى الأندلسى (ت672هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحى السيد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/2001م

21.شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ : رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى ، المتوفى 686هـ ، مع شرح شواهده ، للعلامة البغدادى ، المتوفى عام 1093 هـ ، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرين ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1402هـ / 1982م

22.شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى المصرى ، ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محى الدين عبد الحميد ، (د . ط) ، دار الطلائع ، القاهرة ، ومكتبة الساعى ، المملكة العربية السعودية ، 2004م

23.ضُروب الاحتياط فى اللغة العربية (دراسة نحوية) ، د : آمال أحمد السيد عامر، حولية كلية اللغة العربية بنين ، بجرجا ، جامعة الأزهر، العد (22) ، الجزء السابع، للعام : 1439هـ/2018م

24.ظواهر لغوية جديدة فى اللغة العربية ، د : حازم على كمال الدين ، (د. ط) مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د .ت)

25.العربية لغة العلوم والتقنية ، د : عبد الصبور شاهين

26.علم الأســـلوب المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م
27.علم الدلالة المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، (د . ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د .ت)
28.العمدة فى محاســن الشــعر لأبى على الحســن بن رشــيق القيروانى الأزدى ، حققه وفصـله وعلق حواشـيه : محمد محى الدين عبد الحميد ، ط1 ، دار الطلائع للنشـر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م
29.الفعل في اللغة العربية ، بحث في تولُّد الصيغ و انتظامها، الأزهر الزناد ، مركز النشـر الجامعي، تونس، 2017م
30.القاعدة والذوق فى بلاغة السـكاكى ، د : يوسـف رزقه ، مجلة الجامعة الإسـلامية ، المجلد السابع ، العدد الأول ، يناير (1999م)
31.الكـامـل في اللغـة والأدب ، للمبرد، أبي العبـاس محمـد بن يزيـد المبرد، المتوفي 285هجرية، تحقيق: محمد أبو الفضـل إبراهيم، والسـيد شحاته ، (د. ط)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة
32.الكتاب، لســيبويه ، تحقيق: عبد الســلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ//1988م
33.الكُنَّاش فى النحو والصرف ، لأبى الفداء الملك المؤيَّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت732هـــ) ، تحقيق ، د : على الكبيسى ، ود : صبرى إبراهيم ، (د. ط) مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر، الدوحة ، قطر، 1413هـ/1993م
34.كيف تتذوق قصــيدة حديثة ، عبد الله محمد الغذامى ، مجلة فصــول ، الجزء الثانى، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغســطس/ســبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
35.لســـان العرب ، لابن منظور، تحقيق : عبـد الله على الكبير وآخرين ، (د . ط) دار المعارف ، القاهرة ،(د . ت)
36.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط2، 2008 م
37.المختصر فى أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د : محمد حسن حسن جبل ، ط2. البربرى للطباعة الحديثة ، الغربية ، 2001م

38. مفتاح العلوم ، للإمام ، أبي يعقوب يوسـف بن أبي بكر محمد بن على السـكاكى (ت 626هـ) ، ضـبطه ، وكتب هوامشـه ، وعلق عليه : نعيم زرزور، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م

39. المفصَّـل فى علم العربيـة، لجـار الله الزمخشـري، دار الجيـل، (د .ط) بيوت، لبنـان (د.ت)

40. مفهوم اللغة عند البنيويين ، دراسـة تحليلية ، د : إحسـان عبد القدوس ، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسـات الإسـلامية ، الإصـدار الرابع ، السـنة الثامنة عشرة ، العدد السادس والثلاثون ، رجب : 1431هـ/ يوليه 2010م

41. من أصول الشعر العربى القديم ، الأغراض والموسقى (دراسة نصية) ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، مجلة فصـول ، (تراثنا الشـعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، يناير/فبراير/مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

42. من مظاهر الحداثة فى الأدب، الغموض فى الشعر، محمد الهادى الطرابلسى، مجلة فصـول ، الحـداثة فى اللغـة والأدب ، الجزء الثـانى ، المجلـد الرابع، العـدد الرابع، يوليو/ أغسطس/سبتمبر1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

43. النحو الوافي ، الأستاذ : عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1973م

44. نظريـة القوالـب ، من نظريـات علم اللغـة الحـديـث، د : حـازم على كمـال الـدين ، (د.ط)، مكتبة الآداب، (د . ت)

45. نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوى ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1433هـ/2012م.